الفصل الأول

مفهوم العقيدة الإسلامية

المبحث الأول

تعريـف العقيـدة

أولاً: تعريف العقيدة في اللغة: كلمة (عقيدة) مأخوذة من العقد، والربط، والشد بقوة، ومنه الإحكام، والإبرام، والتماسك، والمراصّة، والتَّوثُّق.

ويطلق على العهد، وتأكيد اليمين: عقد، ويطلق على البيع: عقدٌ؛ لارتباط البائع والمشتري بهذا العقد اللازم، ومنه عقد طرفي الثوب؛ لتلازمهما، ومنه عقد الإزار؛ لأنه يشد بإحكام(١).

ثانياً: تعريف العقيدة في الاصطلاح العام: العقيدة في الاصطلاح العام تطلق على حكم الذهن الجازم، حقًّا كان أم باطلاً.

فإن كان الحكم الذهني الجازم صحيحاً كانت العقيدة صحيحة كاعتقاد المسلمين بوحدانية الله، وإن كان باطلاً كانت العقيدة باطلة، كاعتقاد النصارى بأن الله ثالث ثلاثة.

وتطلق ـ أيضاً ـ على الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه ضميره، ويتخذه مذهباً وديناً يدين به، بغضِّ النظر عن صحته من عدمها(٢).

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٨٦/٤ ـ ٩٠ مادة عقد، ولسان العرب ٢٩٦/٣ ـ ٣٠٠، والقاموس المحيط ٣٨٣ ـ ٣٨٤.

(٢) انظر مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، للشيخ د. ناصر العقل ص ٩.

ثالثاً: العقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة من أصول الدين، وأموره، وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليمُ لله ـ تعالى ـ في الحكم، والأمر، والقدر، والشرع، ولرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالطاعة والتحكيم والاتباع[١].

رابعاً: موضوعات علم العقيدة: العقيدة ـ بمفهوم أهل السنة والجماعة ـ اسم عَلَم على العلْم الذي يُدرس ويتناول جوانب التوحيد، والإيمان، والإسلام، وأمور الغيب، والنبوات، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وما أجمع عليه السلف الصالح من أمور العقيدة، كالولاء والبراء، والواجب تجاه الصحابة وأمهات المؤمنين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ.

ويدخل في ذلك الرد على الكفار، والمبتدعة، وأهل الأهواء، وسائر الملل والنحل، والمذاهب الهدامة، والفرق الضالة، والموقف منهم، إلى غير ذلك من مباحث العقيدة[٢].

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٩ ـ ١٠.

(٢) انظر المرجع السابق ص ٩ ـ ١٠.

خصائص أهل السنة والجماعة

كما أن لعقيدة أهل السنة والجماعة ميزاتٍ تمتاز بها عن غيرها من العقائد ــ فكذلك لأهل السنة خصائص وميزات يمتازون بها عن غيرهم من أهل الملل والنحل، ويجدر بكل من انتسب إليهم أن يأخذ بها، ويأطر نفسه عليها، حتى ينال ما ناله أسلافه من خير وفضل.

فمن تلك الخصائص التي تميز بها أهل السنة والجماعة ما يلي:

١ــ **الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة:** فهم ينهلون من هذا المنهل العذب عقائدَهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكَهم، وأخلاقهم، فكل ما وافق الكتاب والسنة قبلوه وأثبتوه، وكل ما خالفهما ردوه على قائله كائناً من كان.

٢ــ **التسليم لنصوص الشرع، وفهمها على مقتضى منهج السلف:** فهم يسلِّمون لنصوص الشرع، سواء فهموا الحكمة منها أم لا، ولا يعرضون النصوص على عقولهم، بل يعرضون عقولهم على النصوص، ويفهمونها كما فهمها السلف الصالح.

٣ــ **الاتباع وترك الابتداع:** فهم لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، ولا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ ولا يرضون لأحد كائناً من كان أن يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ.

٤ــ **الاهتمام بالكتاب والسنة:** فهم يهتمون بالقرآن حفظاً وتلاوة، وتفسيراً، وبالحديث دراية ورواية.

بخلاف غيرهم من المبتدعة الذي يهتمون بكلام شيوخهم أكثر من اهتمامهم

بالكتاب والسنة.

٥ـ احتجاجهم بالسنة الصحيحة وترك التفريق بين المتواتر والآحاد: سواء في الأحكام أو العقائد، فهم يرون حجية الحديث إذا صح عن رسول الله ﷺ ولو كان آحاداً.

٦ـ ليس لهم إمام معظم يأخذون كلامه كله، ويدعون ما خالفه إلا الرسول ﷺ: أما غير الرسول ﷺ فإنهم يعرضون كلامه على الكتاب والسنة، فما وافقهما قُبِل، وما لا فلا، فهم يعتقدون أن كلَّ أحدٍ يؤخذ من قوله ويُرَدُّ إلا الرسول ﷺ.

أما غيرهم من الفرق الأخرى، ومن متعصبة المذاهب ـ فإنهم يأخذون كلام أئمتهم كله حتى ولو خالف الدليل.

٧ـ هم أعلم الناس بالرسول ﷺ: فهم يعلمون هديه، وأعماله، وأقواله، وتقريراته؛ لذلك فهم أشد الناس حباً له، واتباعاً لسنته.

بخلاف غيرهم من أهل البدع الذي يعرفون عن أئمتهم ما لا يعرفونه عن رسول الله ﷺ.

٨ـ الدخول في الدين كله: فهم يدخلون في الدين كله، ويؤمنون بالكتاب كله؛ امتثالاً لقوله ـتعالىـ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً] (البقرة: ٢٠٨).

بخلاف الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وبخلاف الذين نسوا حظاً مما ذكروا به، والذين جعلوا القرآن عضين؛ فآمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض.

٩ـ تعظيم السلف الصالح: فأهل السنة يعظمون السلف الصالح وهم أهل القرون المفضَّلة، ومن تبعهم بإحسان، ويقتدون بهم، ويهتدون بهديهم، ويرون أن طريقتهم هي الأسلم، والأعلم، والأحكم.

١٠ـ الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة، ورد المتشابه إلى المحكم: فهم يجمعون بين النصوص الشرعية في المسألة الواحدة، ويردون المتشابه إلى المحكم؛ حتى يصلوا إلى الحق في المسألة.

١١ـ الجمع بين العلم والعبادة: بخلاف غيرهم، فإما أن يشتغل بالعبادة عن العلم، أو بالعلم عن العبادة، أما أهل السنة والجماعة فيجمعون بين الأمرين.

١٢ـ الجمع بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب: فهم لا ينكرون الأسباب، ولا تأثيرها إذا ثبتت شرعاً أو قدراً، ولا يَدَعُون الأخذ بالأسباب، وفي الوقت نفسه لا يلتفتون إليها.

ولا يرون أن هناك تنافياً بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب؛ لأن نصوص الشرع حافلة بالأمر بالتوكل على الله، والأخذ بالأسباب المشروعة أو المباحة في مختلف شؤون الحياة، فقد أمرت بالعمل، والسعي في طلب الرزق، والتزود للأسفار، واتخاذ العدد في مواجهة العدو.

١٣ـ الجمع بين التوسع في الدنيا والزهد بها: فأهل السنة والجماعة لا ينكرون على من يتوسع في الدنيا، ويسعى في كسب الرزق، بل يرون أنه ينبغي للإنسان أن يكفي نفسه ومن يعول، ويستغني عن الناس، ويقطع الطمع مما في أيديهم، على ألا تكون الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه، وعلى ألا يكتسب المال من غير حله، كما لا يعيبون على من آثر الكفاف، ورضي بالقليل من متاع

الدنيا، لأنهم يرون أن الزهد إنما هو زهد القلب، وهو أن يترك الإنسان ما لا ينفع في الآخرة.

أما إذا توسع العبد في الدنيا، وجعلها في يده لا في قلبه، يرفد بها الإخوان، ويتصدق على الفقراء والمساكين، ويعين بها على نوائب الحق ــ فذلك من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء؛ كما هو حـــال الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم من أثرياء الصحابة من المهاجرين والأنصار ــرضي الله عنهمــ.

وكحال ابن المبارك رحمه الله فلقد كان من أغنى أهل زمانه، وهو في الوقت نفسه من أزهدهم إن لم يكن أزهدهم.

١٤ــ الجمع بين الخوف والرجاء والحب: فأهل السنة والجماعة يجمعون بين هذه الأمور، ويرون أنه لا تنافي ولا تعارض بينها.

قال الله ــسبحانه وتعالىــ في وصف عباده الأنبياء والمرسلين: [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ](الأنبياء: ٩٠).

وقال في معرض الثناء على سائر عباده المؤمنين: [تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ](السجدة: ١٦).

وهناك مقولة مشهورة عند السلف، وهي قولهم: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف فهو حروري[١] ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالخوف، والحب، والرجاء فهو مؤمن موحِّد».

١ــ نسبة إلى حروراء مدينة في العراق وهي موطن الخوارج الأوائل.

١٥ــ الجمع بين الرحمة واللين والشدة والغلظة: بخلاف غيرهم ممن يأخذ جانباً من هدي السلف ويدع الجانب الآخر، فيأخذون بالشدة في جميع أحوالهم، أو باللين في جميع أحوالهم.

أما أهل السنة فيجمعون بين هذا وهذا، وكل في موضعه، حسب ما تقتضيه المصلحة، ومقتضيات الأحوال، وإن كان الأصل في معاملتهم لزوم الرفق، والأخذ باللين.

١٦ــ الجمع بين العقل والعاطفة: فعقولهم راجحة، وعواطفهم صادقة، ومعاييرهم منضبطة، فلم يغلِّبوا جانب العقل على العاطفة، ولا جانب العاطفة على العقل، وإنما جمعوا بينهما على أكمل وجه وأتمه، فمع أن عواطفهم قوية مشبوبة إلا أن تلك العواطف تضبط بالعقل، وذلك العقل يضبط بالشرع.

[نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ] (النور:٣٥).

١٧ــ العدل: فالعدل من أعظم المميزات لأهل السنة والجماعة، فهم أعدل الناس، وأولاهم بامتثال قول الله ــعز وجلــ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ](النساء:١٣٥).

وقوله: [وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى] (الأنعام: ١٥٢).

حتى إن الطوائف الأخرى إذا تنازعت احتكمت إلى أهل السنة.

١٨ــ الأمانة العلمية: فالأمانة زينة العلم، وروحه الذي يجعله زاكي الثمر، لذيذ المطعم، وأهل السنة لهم القِدحُ المعلى في ذلك الشأن.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم ــ الأمانة في النقل، والبعد عن التزوير، وقلب الحقائق، وبتر النصوص، أوتحريفها، فإذا نقلوا عن مخالف لهم نقلوا كلامه

تامّاً، فلا يأخذون منه ما يوافق ما يذهبون إليه، ويدعون ما سواه؛ كي يدينوا المخالف لهم، وإنما ينقلون كلامه تامّاً، فإن كان حقاً أقرّوه، وإن كان باطلاً ردّوه، وإن كان فيه وفيه، قبلوا الحق وردّوا الباطل، كل ذلك بالدليل القاطع، والبرهان الساطع.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم أنهم لا يحمّلون الكلام ما لا يحتمل، وأنهم يذكرون ما لهم وما عليهم، وأنهم يرجعون للحق إذا تبيّن، ولا يفتون ولا يقضون إلا بما يعلمون.

كما أنهم أحرص الناس على نسبة الكلام إلى قائله، وأبعدهم من نسبته إلى غير قائله.

١٩ـ الوسطية: قال ـ تعالى ـ: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً](البقرة:١٤٣).

فالوسطية من أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة.

فكما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم التي تجنح إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك ـ فكذلك أهل السنة والجماعة؛ فهم متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم.

وتتجلى وسطية أهل السنة والجماعة في شتى الأمور؛ سواء في باب العقيدة، أو الأحكام، أو السلوك، أو الأخلاق، أو غير ذلك.

٢٠ـ عدم الاختلاف في أصول الاعتقاد: فالسلف الصالح لا يختلفون ـ بحمد الله ـ في أصل من أصول الدين، وقواعد الاعتقاد؛ فقولهم في أسماء الله وصفاته وأفعاله واحد، وقولهم في الإيمان وحقيقته ومسائله واحد، وقولهم في

القدر واحد، وهكذا في باقي الأصول.

٢١ـ ترك الخصومات في الدين، ومجانبة أهل الخصومات: لأن الخصومات مدعاةٌ للفرقة والفتنة، ومجلبةٌ للتعصب واتباع الهوى، ومطيةٌ للانتصار للنفس، والتشفي من الآخرين، وذريعة للقول على الله بغير علم.

أخرج الآجري رحمه الله بسنده عن مسلم بن يسار رحمه الله أنه قال: «إياكم والمراءَ؛ فإنه ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته».

وأخرج أن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله قال: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل».

وقال جعفر بن محمد رحمه الله: «إياكم والخصوماتِ؛ فإنها تشغل القلب وتورث النفاق».

٢٢ـ الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق: فهم حريصون كل الحرص على وحدة المسلمين، ولمِّ شعثهم، وجمع كلمتهم على الحق، وإزالة أسباب النزاع والفرقة بينهم؛ لعلمهم أن الاجتماع رحمة، وأن الفرقة عذاب؛ ولأن الله ـعز وجلـ أمر بالائتلاف، ونهى عن الاختلاف كما في قوله ـتعالىـ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا] (آل عمران:١٠٢، ١٠٣).

بخلاف الذين يسعون للفرقة بين المسلمين، ويبذرون بذور الشقاق في صفوفهم، فيفرقونهم عند أدنى نازلة، ويحزبونهم، ويؤلبون بعضهم على بعض، ويُغْرُون بعضهم ببعض.

٢٣ـ سعة الأفق: فهم أوسع الناس أفقاً، وأبعدهم نظراً، وأرحبهم بالخلاف

صدراً، وأكثرهم للمعاذير التماساً.

وهم لا يأنفون من سماع الحق، ولا تحرج صدورهم من قبوله، ولا يستنكفون من الرجوع إليه، والأخذ به.

ثم إنهم لا يُلزمون الناس باجتهاداتهم، ولا يضللون كل من خالفهم، ولا تضيق أعطانهم في الأمور الاجتهادية، التي تختلف فيها أفهام الناس.

ومن مظاهر سعة الأفق عندهم بعدهم عن التعصب المقيت، والتقليد الأعمى، والحزبية الضيقة.

٢٤ـ حسن الخلق: فأهل السنة أحسن الناس خلقاً، وأكثرهم حلماً وسماحة وتواضعاً، وأحرصهم دعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال.

٢٥ـ هم أهل الدعوة إلى الله: فهم يدعون إلى دين الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ويسلكون في ذلك شتى الطرق المشروعة والمباحة؛ حتى يعرف الناس ربهم، ويعبدوه حق عبادته.

فلا أحد أحرص منهم على هداية الخلق، ولا أحد أرحم منهم بالناس.

٢٦ـ هم الغرباء: الذين يُصْلحُونَ ما أفسد الناس، ويَصلُحون إذا فسد الناس.

٢٧ـ هم الفرقة الناجية: التي تنجو من البدع والضلالات في هذه الدنيا، وتنجو من عذاب الله يوم القيامة.

٢٨ـ وهم الطائفة المنصورة: لأن الله معهم، وهو مؤيدهم وناصرهم.

٢٩ـ لا يوالون ولا يعادون إلا على أساس الدين: فلا ينتصرون لأنفسهم، ولا يغضبون لها، ولا يوالون لِعُبِّيَّة جاهلية، أو عصبية مذهبية، أو راية حزبية، وإنما يوالون على الدين، فولاؤُهم لله، وبراؤهم لله، ومواقفهم ثابتة، لا تتبدل

ولا تتغير.

٣٠ـ سلامتهم من تكفير بعضهم لبعض: فأهل السنة سالمون من ذلك، فهم يردون على المخالف ولو كان منهم، ويوضحون الحق للناس، فهم يُخطِّئون، ولا يكفرون، ولا يبدعون، ولا يفسقون إلا من استحق ذلك.

بخلاف غيرهم من الطوائف الأخرى كالخوارج الذي يكثر فيهم الاختلاف والتضليل والتكفير؛ ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها.

٣١ـ سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب الرسول ﷺ: فقلوبهم عامرة بحبهم، وألسنتهم تلهج بالثناء عليهم، فأهل السنة يرون أن الصحابة خير القرون؛ لأن الله ـ عز وجل ـ زكاهم وكذلك رسوله ﷺ.

٣٢ـ سلامتهم من الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض: فأهل السنة والجماعة أكثر الناس رضاً ويقيناً، وطمأنينة، وإيماناً، وأبعدهم عن الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض.

حتى إنه ليوجد عند عوام أهل السنة من بَرْدِ اليقين، وحسن المعتقد، والبعد عن الحيرة ـ ما لا يوجد عند علماء الطوائف الأخرى من أهل الكلام وغيرهم ممن اضطربوا في تقرير عقائدهم فحاروا وحيَّروا، وتعبوا وأتعبوا.

٣٣ـ يدينون بالنصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين وعامتهم: منطلقين بذلك من قول النبي ﷺ:«**الدين النصيحة**» قالوا: لمن يا رسول الله؟ **قال:** «**لله ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين، وعامتهم**».

فهم ينصحون لله إيماناً به، وقياماً بحقه، وعبودية له ظاهراً وباطناً.

وينصحون لكتاب الله بالإقبال عليه تلاوة وحفظاً وتدبراً وتعلماً لألفاظه ومعانيه، وعملا به، ودعوة للناس إليه.

وينصحون للرسول ﷺ بمحبته، وتعظيمه، وتوقيره، والإقتداء به، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والذب عنه، ونصرة دينه، وتقديم قوله على قول كل أحد من البشر.

وينصحون لأئمة المسلمين ـ من الإمام الأعظم إلى من دونه ممن لهم ولاية خاصة أو عامة ـ باعتقاد ولايتهم، وبالسمع والطاعة لهم بالمعروف، وببذل المستطاع لإرشادهم، وتنبيههم على ما فيه صلاحهم وصلاح الأمة جمعاء، وتحذيرهم مما فيه ضرر عليهم وعلى الأمة.

٣٤ـ التثبت في الأخبار، وعدم التسرع في إطلاق الأحكام: بخلاف الذين يسارعون في إطلاق الأحكام، ويتهافتون على إلصاق التهم بالأبرياء، فَيُفَسِّقُون، ويبدعون، ويكفرون بالتهمة والظنة، من غير ما برهان أو بينة.

٣٥ـ حصول البشرى عند الممات: وذلك لإيمانهم بالله، واستقامتهم على أمره، قال ـ تعالى ـ: [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ] (فصلت: ٣٠).

٣٦ـ مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات: فمن أسباب مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات ـ بل هو أساسها وأصلها ـ صحةُ العقيدة، وقوة الإيمان.

وأهل السنة والجماعة أصح الناس عقيدةً، وأقواهم إيماناً؛ ولذلك فأعمالهم تضاعف مضاعفة كبيرة، ودرجاتهم ترفع وتعلو عُلواً لا يدانيه أحد، ولا

يشاركهم فيه إلا من كان على مثل ما هم عليه من العقيدة والإيمان.

ولهذا كان السلف يقولون:«أهل السنة والجماعة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إن كثرت أعمالهم قعدت بهم عقائدهم».

هذه مآثر أهل السنة والجماعة، وهذه بعض خصائصهم التي تميزوا بها على غيرهم، وتلك هي الخصال التي طبقها سلفنا الصالح ــرحمهم الله ورضي عنهمــ فنالوا الخيرات، وحصلوا على البركات.

وليس معنى ذلك أن أهل السنة معصومون؟ لا، بل إن منهجهم هو المعصوم، وجماعتهم هي المعصومة.

أما آحادهم فقد يقع منه الظلم والبغي، والعدوان، وارتكاب المخالفات.

ولكن ذلك قليل بالنسبة إلى غيرهم، ولا يُقَرُّ من فعل ذلك منهم، بل يبتعد عن السنة بقدر مخالفته.

ثم إن ما عند أهل السنة من مخالفات وأخطاء فعند غيرهم أكثر مما عندهم، وما عند غيرهم من فضل وعلم وكمال فعند أهل السنة أكمله وأتمه.

فما أجدرنا ــمعاشر المسلمينــ أن نأخذ بمنهج أهل السنة، وأن نوطن أنفسنا على ذلك، وما أحرانا ــنحن أهل السنةــ أن نقوم بالسنة حق القيام، وأن نقتدي بسلفنا الصالح في كل أمورنا؛ لنرضي ربنا ــجل وعلاــ ولنعطي صورة مشرقة عن الإسلام الصحيح النقي؛ ليقبل الناس عليه، ويحرصوا على الدخول فيه، ولئلا نصبح فتنة لغيرنا من الكفار والمبتدعة، فإذا رأوا ما عليه بعض أهل السنة من بعد عن المنهج ــ قالوا: إذا كان خاصة المؤمنين بهذه المثابة فلا لوم علينا ولا تثريب، وبذلك تندرس معالم الحق، وتنطمس أنوار الهدى.

وأخيراً: نحمد الله أن جعلنا من أهل السنة، ونسأله أن يتم علينا النعمة والمنة، وأن يرزقنا لزوم السنة، والعمل بالسنة، وأن يتوفانا على السنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

خصائص العقيدة الإسلامية
عقيدة أهل السنة والجماعة

للعقيدة الإسلامية _**عقيدة أهل السنة والجماعة**_ خصائص عديدة، لا توجد في أي عقيدة أخرى، ولا غرو في ذلك؛ إذ إن تلك العقيدة تُستَمد من الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومن تلك الخصائص مايلي:

١_ سلامة مصدر التلقي: وذلك باعتمادها على الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح، فهي مستقاة من ذلك النبع الصافي، بعيداً عن كدر الأهواء والشبهات.

وهذه الخصيصة لا توجد في شتى المذاهب والملل والنحل غير العقيدة الإسلامية _عقيدة أهل السنة والجماعة_.

٢_ أنها تقوم على التسليم لله _تعالى_ ولرسوله ﷺ: وذلك لأنها غيب، والغيب يقوم على التسليم.

فالتسليم بالغيب من أعظم صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها، كما في قوله _تعالى_: [ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ] (البقرة:٢_٣).

ذلك أن العقول لا تدرك الغيب، ولا تستقل بمعرفة الشرائع؛ لعجزها وقصورها؛ فكما أن سمع الإنسان قاصر، وبصره كليل، وقَوَّته محدودة _ فكذلك عقله؛ فَتَعَيَّن الإيمان بالغيب والتسليم لله _عز وجل_.

٣ـ موافقتها للفِطرة القويمة، والعقل السليم: فعقيدة أهل السنة والجماعة ملائمة للفطرة السليمة، موافقة للعقل الصريح، الخالي من الشهوات والشبهات.

٤ـ اتصال سندها بالرسول ﷺ والسلف الصالح قولاً، وعملاً، واعتقاداً: وهذه الخصيصة قد اعترف بها كثير من خصومها؛ فلا يوجد ـبحمد اللهـ أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ليس له أصل أو مستند من الكتاب والسنة، أو عن السلف الصالح، بخلاف العقائد الأخرى المبتدعة.

٥ـ الوضوح والسهولة والبيان: فهي عقيدة سهلة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، فلا لبس فيها، ولا غموض، ولا تعقيد؛ فألفاظها واضحة، ومعانيها بينة، يفهمها العالم والعامي، والصغير والكبير؛ فهي تستمد من الكتاب والسنة، وأدلة الكتاب والسنة كالغذاء ينتفع به كل إنسان، بل كالماء الذي ينتفع به الرضيع، والصبي، والقوي، والضعيف.

٦ـ السلامة من الاضطراب والتناقض واللبس: فلا مكان فيها لشيء من ذلك مطلقاً، كيف لا وهي وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟.

فالحق لا يضطرب، ولا يتناقض، ولا يلتبس.

بل يشبه بعضُه بعضاً، ويصدِّق بعضُه بعضاً [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً](النساء: ٨٢).

٧ـ أنها قد تأتي بالمحار، ولكن لا تأتي بالمحال: ففي العقيدة الإسلامية ما يبهر العقول، وما قد تحار فيه الأفهام، كسائر أمور الغيب؛ من عذاب القبر ونعيمه، والصراط، والحوض، والجنة والنار، وكيفيـــة صفات الله ـعز وجلـ.

فالعقول تحار في فهم حقيقة هذه الأمور، بل تعجز عن إدراك كيفياتها،

ولكنها لا تحيلها، بل تسلِّم لذلك، وتنقاد، وتذعن؛ لأن ذلك صدر عن الوحي المنزل، الذي لا ينطق عن الهوى.

٨ـ **العموم والشمول والصلاح:** فهي عامة، شاملة، صالحة لكل زمان ومكان، وحال، وأمة، بل إن الحياة لا تستقيم إلا بها.

٩ـ **الثبات والاستقرار والخلود:** فهي عقيدة ثابتة، مستقرة خالدة، فلقد ثبتت أمام الضربات المتوالية التي يقوم بها أعداء الإسلام؛ من اليهود، والنصارى، والمجوس، وغيرهم.

فما إن يعتقد هؤلاء أن عظمها قَدْ وَهَن، وأن جذوتها قد خبت، ونارها قد انطفأت حتى تعود جذعة ناصعة نقيــة؛ فهي ثابتة إلى قيام الساعة، محفوظة بحفظ الله ـتعالىـ تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل؛ ورعيلاً بعد رعيل، لم يتطرق إليها التحريف، أو الزيادة، أو النقصان، أو التبديل

كيف لا، والله ـعز وجلـ هو الذي تكفل بحفظها، وبقائها، ولم يكل ذلك إلى أحد من خلقه.

قال ـتعالىـ: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] (الحجر:٩).

١٠ـ **أنها سبب للنصر والظهور والتمكين:** فذلك لا يكون إلا لأهل العقيدة الصحيحة، فهم الظاهرون، وهم الناجون، وهم المنصورون كما قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**» أخرجه مسلم.

فمن أخذ بتلك العقيدة أعزه الله، ومن تركها خذله الله.

وقد عَلِم ذلك كلُّ من قرأ التاريخ، فمتى حاد المسلمون عن دينهم ـ حاق

بهم ما حاق، كما حدث لهم في الأندلس وغيرها.

١١ـ أنها ترفع قدر أهلها: فمن اعتقدها، وزاد علماً بها، وعملاً بمقتضاها، ودعوة للناس إليها ـ أعلا الله قدره، ورفع له ذكره، ونشر بين الناس فضله، فرداً كان أو جماعة؛ ذلك أن العقيدة الصحيحة أفضلُ ما اكتسبته القلوب، وخير ما أدركته العقول؛ فهي تثمر المعارف النافعة، والأخلاق العالية، والبركات المتنوعة.

١٢ـ السلامة والنجاة: فالسنة سفينة النجاة، فمن تمسك بها سلم ونجا، ومن تركها غرق وهلك، وكان السلف يسمون السنة سفينة نوح ـعليه السلامـ.

١٣ـ أنها عقيدة الألفة والاجتماع: فما اتحد المسلمون، وما اجتمعت كلمتهم في مختلف الأعصار والأمصار ـ إلا بتمسكهم بعقيدتهم، وأخذهم بها، وما تفرقوا واختلفوا إلا لبعدهم عنها.

١٤ـ التميز: فهي عقيدة متميزة لا تشتبه بها العقائد الأخرى، ولا الأهواء المتفرقة.

١٥ـ أنها تحمي معتنقيها من التخبط والفوضى والضياع: فالمنهج واحد، والمبدأ واضح ثابت لا يتغير، فيسلم معتنقها من اتباع الهوى، ويسلم من التخبط في توزيع الولاء والبراء، والمحبة والبغضاء، بل تعطيه معياراً دقيقاً لا يخطىء أبداً، فيسلم من التشتت والتشرد والضياع، فيعرف من يوالي، ويعرف من يعادي، ويعرف ما له وما عليه.

١٦ـ أنها تمنح معتنقيها الراحة النفسية والفكرية: فلا قلق في النفس، ولا اضطراب في الفكر؛ لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه ـعز وجلـ فيرضى به

رباً مدبراً، وحاكماً مشرعاً، فيطمئن قلبه بقدره، وينشرح صدره لحكمه، ويستنير فكره بمعرفته.

١٧ــ سلامة القصد والعمل: بحيث يَسْلَمُ معتنقها من الانحراف في عبادة الله ــعز وجلــ فلا يعبد غير الله، ولا يرجو سواه.

١٨ــ تؤثر في السلوك والأخلاق والمعاملة: فهي تأمر أهلها بكل خير، وتنهاهم عن كل شر، فتأمرهم بالعدل والاعتدال، وتنهاهم عن الظلم والانحراف.

١٩ــ تدفع معتنقيها إلى الحزم والجد في الأمور.

٢٠ــ تبعث في نفس المؤمن تعظيم الكتاب والسنة: لأنه يعلم أن الكتاب والسنة حق وصواب، وهدى ورحمة؛ فينبعث بذلك إلى تعظيمهما، والأخذ بهما.

٢١ــ تَكْفُل لمعتنقيها الحياة الكريمة: ففي ظل العقيدة الإسلامية يتحقق الأمن والحياة الكريمة؛ ذلك أنها تقوم على الإيمان بالله، ووجوب إفراده بالعبادة دون من سواه، وذلك ــبلا شكــ سبب الأمن والخير والسعادة في الدارين؛ فالأمن قرين الإيمان، وإذا فقد الإيمان فقد الأمن، قال ــتعالىــ: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢٨)](الأنعام).

فأهل التقوى والإيمان لهم الأمن التام، والاهتداء التام في العاجل والآجل، وأهل الشرك والمعصية هم أهل الخوف وأولى الناس به، فهم مهددون بالعقوبات والنقمات في سائر الأوقات.

٢٢ــ تعترف بالعقل وتحدد مجاله: فالعقيدة الإسلامية تحترم العقل السوي، وترفع من شأنه، ولا تحجر عليه، ولا تنكر نشاطه، والإسلام لا يرضى

من المسلم أن يطفىء نور عقله، ويركن إلى التقليد الأعمى في مسائل الاعتقاد وغيرها.

٢٤ـ تعترف بالعواطف الإنسانية، وتوجهها الوجهة الصحيحة: فالعواطف أمر غريزي، ولا يتجرد منه أي إنسان سوي، والعقيدة الإسلامية ليست عقيدة هامدة جامدة، بل هي عقيدة حيَّة، تعترف بالعواطف الإنسانية، وتقدرها حق قدرها، وفي الوقت نفسه لا تطلق العنان لها، بل تُقوِّمها، وتسمو بها، وتوجهها الوجهة الصحيحة، التي تجعل منها أداة خير وتعمير بدلاً من أن تكون معولَ هدمٍ وتدمير.

٢٥ـ العقيدة الإسلامية كفيلة بحل جميع المشكلات: سواء مشكلات الفرقة والشتات، أو مشكلات السياسة والاقتصاد، أو مشكلات الجهل والمرض والفقر، أو غير ذلك؛ فلقد جمع الله بها القلوب المشتتة، والأهواء المتفرقة، وأغنى بها المسلمين بعد العَيْلَة، وعلّمهم بها بعد الجهل، وبصّرهم بعد العمى، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف.

خصائص أهل السنة والجماعة

كما أن لعقيدة أهل السنة والجماعة ميزاتٍ تمتاز بها عن غيرها من العقائد ــ فكذلك لأهل السنة خصائص وميزات يمتازون بها عن غيرهم من أهل الملل والنحل، ويجدر بكل من انتسب إليهم أن يأخذ بها، ويأطر نفسه عليها، حتى ينال ما ناله أسلافه من خير وفضل.

فمن تلك الخصائص التي تميز بها أهل السنة والجماعة ما يلي:

١ــ الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة: فهم ينهلون من هذا المنهل العذب عقائدَهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكَهم، وأخلاقهم، فكل ما وافق الكتاب والسنة قبلوه وأثبتوه، وكل ما خالفهما ردوه على قائله كائناً من كان.

٢ــ التسليم لنصوص الشرع، وفهمها على مقتضى منهج السلف: فهم يسلِّمون لنصوص الشرع، سواء فهموا الحكمة منها أم لا، ولا يعرضون النصوص على عقولهم، بل يعرضون عقولهم على النصوص، ويفهمونها كما فهمها السلف الصالح.

٣ــ الاتباع وترك الابتداع: فهم لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، ولا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ ولا يرضون لأحد كائناً من كان أن يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ.

٤ــ الاهتمام بالكتاب والسنة: فهم يهتمون بالقرآن حفظاً وتلاوة، وتفسيراً، وبالحديث دراية ورواية.

بخلاف غيرهم من المبتدعة الذي يهتمون بكلام شيوخهم أكثر من اهتمامهم

بالكتاب والسنة.

٥ـ احتجاجهم بالسنة الصحيحة وترك التفريق بين المتواتر والآحاد: سواء في الأحكام أو العقائد، فهم يرون حجية الحديث إذا صح عن رسول الله ﷺ ولو كان آحاداً.

٦ـ ليس لهم إمام معظم يأخذون كلامه كله، ويدعون ما خالفه إلا الرسول ﷺ: أما غير الرسول ﷺ فإنهم يعرضون كلامه على الكتاب والسنة، فما وافقهما قُبِل، وما لا فلا، فهم يعتقدون أن كلَّ أحدٍ يؤخذ من قوله ويُرَدُّ إلا الرسول ﷺ.

أما غيرهم من الفرق الأخرى، ومن متعصبة المذاهب ـ فإنهم يأخذون كلام أئمتهم كله حتى ولو خالف الدليل.

٧ـ هم أعلم الناس بالرسول ﷺ: فهم يعلمون هديه، وأعماله، وأقواله، وتقريراته؛ لذلك فهم أشد الناس حباً له، واتباعاً لسنته.

بخلاف غيرهم من أهل البدع الذي يعرفون عن أئمتهم ما لا يعرفونه عن رسول الله ﷺ.

٨ـ الدخول في الدين كله: فهم يدخلون في الدين كله، ويؤمنون بالكتاب كله؛ امتثالاً لقوله ـتعالىـ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً] (البقرة: ٢٠٨).

بخلاف الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وبخلاف الذين نسوا حظاً مما ذكروا به، والذين جعلوا القرآن عضين؛ فآمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض.

٩ـ تعظيم السلف الصالح: فأهل السنة يعظمون السلف الصالح وهم أهل القرون المفضَّلة، ومن تبعهم بإحسان، ويقتدون بهم، ويهتدون بهديهم، ويرون أن طريقتهم هي الأسلم، والأعلم، والأحكم.

١٠ـ الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة، ورد المتشابه إلى المحكم: فهم يجمعون بين النصوص الشرعية في المسألة الواحدة، ويردون المتشابه إلى المحكم؛ حتى يصلوا إلى الحق في المسألة.

١١ـ الجمع بين العلم والعبادة: بخلاف غيرهم، فإما أن يشتغل بالعبادة عن العلم، أو بالعلم عن العبادة، أما أهل السنة والجماعة فيجمعون بين الأمرين.

١٢ـ الجمع بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب: فهم لا ينكرون الأسباب، ولا تأثيرها إذا ثبتت شرعاً أو قدراً، ولا يَدَعُون الأخذ بالأسباب، وفي الوقت نفسه لا يلتفتون إليها.

ولا يرون أن هناك تنافياً بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب؛ لأن نصوص الشرع حافلة بالأمر بالتوكل على الله، والأخذ بالأسباب المشروعة أو المباحة في مختلف شؤون الحياة، فقد أمرت بالعمل، والسعي في طلب الرزق، والتزود للأسفار، واتخاذ العدد في مواجهة العدو.

١٣ـ الجمع بين التوسع في الدنيا والزهد بها: فأهل السنة والجماعة لا ينكرون على من يتوسع في الدنيا، ويسعى في كسب الرزق، بل يرون أنه ينبغي للإنسان أن يكفي نفسه ومن يعول، ويستغني عن الناس، ويقطع الطمع مما في أيديهم، على ألا تكون الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه، وعلى ألا يكتسب المال من غير حله، كما لا يعيبون على من آثر الكفاف، ورضي بالقليل من متاع

الدنيا، لأنهم يرون أن الزهد إنما هو زهد القلب، وهو أن يترك الإنسان ما لا ينفع في الآخرة.

أما إذا توسع العبد في الدنيا، وجعلها في يده لا في قلبه، يرفد بها الإخوان، ويتصدق على الفقراء والمساكين، ويعين بها على نوائب الحق ــ فذلك من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء؛ كما هو حـــال الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم من أثرياء الصحابة من المهاجرين والأنصار ــرضي الله عنهمــ.

وكحال ابن المبارك رحمه الله فلقد كان من أغنى أهل زمانه، وهو في الوقت نفسه من أزهدهم إن لم يكن أزهدهم.

١٤ــ الجمع بين الخوف والرجاء والحب: فأهل السنة والجماعة يجمعون بين هذه الأمور، ويرون أنه لا تنافي ولا تعارض بينها.

قال الله ــسبحانه وتعالىــ في وصف عباده الأنبياء والمرسلين: [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ](الأنبياء: ٩٠).

وقال في معرض الثناء على سائر عباده المؤمنين: [تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ](السجدة: ١٦).

وهناك مقولة مشهورة عند السلف، وهي قولهم: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف فهو حروري[١] ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالخوف، والحب، والرجاء فهو مؤمن موحِّد».

١ــ نسبة إلى حروراء مدينة في العراق وهي موطن الخوارج الأوائل.

١٥_ الجمع بين الرحمة واللين والشدة والغلظة: بخلاف غيرهم ممن يأخذ جانباً من هدي السلف ويدع الجانب الآخر، فيأخذون بالشدة في جميع أحوالهم، أو باللين في جميع أحوالهم.

أما أهل السنة فيجمعون بين هذا وهذا، وكل في موضعه، حسب ما تقتضيه المصلحة، ومقتضيات الأحوال، وإن كان الأصل في معاملتهم لزوم الرفق، والأخذ باللين.

١٦_ الجمع بين العقل والعاطفة: فعقولهم راجحة، وعواطفهم صادقة، ومعاييرهم منضبطة، فلم يغلِّبوا جانب العقل على العاطفة، ولا جانب العاطفة على العقل، وإنما جمعوا بينهما على أكمل وجه وأتمه، فمع أن عواطفهم قوية مشبوبة إلا أن تلك العواطف تضبط بالعقل، وذلك العقل يضبط بالشرع.

[نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ] (النور:٣٥).

١٧_ العدل: فالعدل من أعظم المميزات لأهل السنة والجماعة، فهم أعدل الناس، وأولاهم بامتثال قول الله _عز وجل_: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ](النساء:١٣٥).

وقوله: [وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى] (الأنعام: ١٥٢).

حتى إن الطوائف الأخرى إذا تنازعت احتكمت إلى أهل السنة.

١٨_ الأمانة العلمية: فالأمانة زينة العلم، وروحه الذي يجعله زاكي الثمر، لذيذ المطعم، وأهل السنة لهم القِدحُ المعلى في ذلك الشأن.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم _ الأمانة في النقل، والبعد عن التزوير، وقلب الحقائق، وبتر النصوص، أوتحريفها، فإذا نقلوا عن مخالف لهم نقلوا كلامه

تامّاً، فلا يأخذون منه ما يوافق ما يذهبون إليه، ويدعون ما سواه؛ كي يدينوا المخالف لهم، وإنما ينقلون كلامه تامّاً، فإن كان حقاً أقرّوه، وإن كان باطلاً ردّوه، وإن كان فيه وفيه، قبلوا الحق وردّوا الباطل، كل ذلك بالدليل القاطع، والبرهان الساطع.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم أنهم لا يحمّلون الكلام ما لا يحتمل، وأنهم يذكرون ما لهم وما عليهم، وأنهم يرجعون للحق إذا تبيّن، ولا يفتون ولا يقضون إلا بما يعلمون.

كما أنهم أحرص الناس على نسبة الكلام إلى قائله، وأبعدهم من نسبته إلى غير قائله.

١٩ـ الوسطية: قال ـتعالىـ:[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً](البقرة:١٤٣).

فالوسطية من أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة.

فكما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم التي تجنح إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك ـ فكذلك أهل السنة والجماعة؛ فهم متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم.

وتتجلى وسطية أهل السنة والجماعة في شتى الأمور؛ سواء في باب العقيدة، أو الأحكام، أو السلوك، أو الأخلاق، أو غير ذلك.

٢٠ـ عدم الاختلاف في أصول الاعتقاد: فالسلف الصالح لا يختلفون ـبحمد اللهـ في أصل من أصول الدين، وقواعد الاعتقاد؛ فقولهم في أسماء الله وصفاته وأفعاله واحد، وقولهم في الإيمان وحقيقته ومسائله واحد، وقولهم في

القدر واحد، وهكذا في باقي الأصول.

٢١ـ ترك الخصومات في الدين، ومجانبة أهل الخصومات: لأن الخصومات مدعاةٌ للفرقة والفتنة، ومجلبةٌ للتعصب واتباع الهوى، ومطيةٌ للانتصار للنفس، والتشفي من الآخرين، وذريعة للقول على الله بغير علم.

أخرج الآجري رحمه الله بسنده عن مسلم بن يسار رحمه الله أنه قال: «إياكم والمراءَ؛ فإنه ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته».

وأخرج أن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله قال: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل».

وقال جعفر بن محمد رحمه الله: «إياكم والخصوماتِ؛ فإنها تشغل القلب وتورث النفاق».

٢٢ـ الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق: فهم حريصون كل الحرص على وحدة المسلمين، ولمِّ شعثهم، وجمع كلمتهم على الحق، وإزالة أسباب النزاع والفرقة بينهم؛ لعلمهم أن الاجتماع رحمة، وأن الفرقة عذاب؛ ولأن الله ـعز وجلـ أمر بالائتلاف، ونهى عن الاختلاف كما في قوله ـتعالىـ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا] (آل عمران:١٠٢، ١٠٣).

بخلاف الذين يسعون للفرقة بين المسلمين، ويبذرون بذور الشقاق في صفوفهم، فيفرقونهم عند أدنى نازلة، ويحزبونهم، ويؤلبون بعضهم على بعض، ويُغْرُون بعضهم ببعض.

٢٣ـ سعة الأفق: فهم أوسع الناس أفقاً، وأبعدهم نظراً، وأرحبهم بالخلاف

صدراً، وأكثرهم للمعاذير التماساً.

وهم لا يأنفون من سماع الحق، ولا تحرج صدورهم من قبوله، ولا يستنكفون من الرجوع إليه، والأخذ به.

ثم إنهم لا يُلزمون الناس باجتهاداتهم، ولا يضللون كل من خالفهم، ولا تضيق أعطانهم في الأمور الاجتهادية، التي تختلف فيها أفهام الناس.

ومن مظاهر سعة الأفق عندهم بعدهم عن التعصب المقيت، والتقليد الأعمى، والحزبية الضيقة.

٢٤ـ حسن الخلق: فأهل السنة أحسن الناس خلقاً، وأكثرهم حلماً وسماحة وتواضعاً، وأحرصهم دعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال.

٢٥ـ هم أهل الدعوة إلى الله: فهم يدعون إلى دين الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ويسلكون في ذلك شتى الطرق المشروعة والمباحة؛ حتى يعرف الناس ربهم، ويعبدوه حق عبادته.

فلا أحد أحرص منهم على هداية الخلق، ولا أحد أرحم منهم بالناس.

٢٦ـ هم الغرباء: الذين يُصْلِحُونَ ما أفسد الناس، ويَصلُحون إذا فسد الناس.

٢٧ـ هم الفرقة الناجية: التي تنجو من البدع والضلالات في هذه الدنيا، وتنجو من عذاب الله يوم القيامة.

٢٨ـ وهم الطائفة المنصورة: لأن الله معهم، وهو مؤيدهم وناصرهم.

٢٩ـ لا يوالون ولا يعادون إلا على أساس الدين: فلا ينتصرون لأنفسهم، ولا يغضبون لها، ولا يوالون لِعُبِّيَّة جاهلية، أو عصبية مذهبية، أو راية حزبية، وإنما يوالون على الدين، فولاؤُهم لله، وبراؤهم لله، ومواقفهم ثابتة، لا تتبدل

ولا تتغير.

٣٠ـ سلامتهم من تكفير بعضهم لبعض: فأهل السنة سالمون من ذلك، فهم يردون على المخالف ولو كان منهم، ويوضحون الحق للناس، فهم يُخطِّئون، ولا يكفرون، ولا يبدعون، ولا يفسقون إلا من استحق ذلك.

بخلاف غيرهم من الطوائف الأخرى كالخوارج الذي يكثر فيهم الاختلاف والتضليل والتكفير؛ ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها.

٣١ـ سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب الرسول ﷺ: فقلوبهم عامرة بحبهم، وألسنتهم تلهج بالثناء عليهم، فأهل السنة يرون أن الصحابة خير القرون؛ لأن الله ـ عز وجل ـ زكاهم وكذلك رسوله ﷺ.

٣٢ـ سلامتهم من الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض: فأهل السنة والجماعة أكثر الناس رضاً ويقيناً، وطمأنينة، وإيماناً، وأبعدهم عن الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض.

حتى إنه ليوجد عند عوام أهل السنة من بَرْدِ اليقين، وحسن المعتقد، والبعد عن الحيرة ـ ما لا يوجد عند علماء الطوائف الأخرى من أهل الكلام وغيرهم ممن اضطربوا في تقرير عقائدهم فحاروا وحيَّروا، وتعبوا وأتعبوا.

٣٣ـ يدينون بالنصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين وعامتهم: منطلقين بذلك من قول النبي ﷺ:«**الدين النصيحة**» قالوا: لمن يا رسول الله؟ **قال:** «**لله ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين، وعامتهم**».

فهم ينصحون لله إيماناً به، وقياماً بحقه، وعبودية له ظاهراً وباطناً.

وينصحون لكتاب الله بالإقبال عليه تلاوة وحفظاً وتدبراً وتعلماً لألفاظه ومعانيه، وعملا به، ودعوة للناس إليه.

وينصحون للرسول ﷺ بمحبته، وتعظيمه، وتوقيره، والإقتداء به، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والذب عنه، ونصرة دينه، وتقديم قوله على قول كل أحد من البشر.

وينصحون لأئمة المسلمين ـ من الإمام الأعظم إلى من دونه ممن لهم ولاية خاصة أو عامة ـ باعتقاد ولايتهم، وبالسمع والطاعة لهم بالمعروف، وببذل المستطاع لإرشادهم، وتنبيههم على ما فيه صلاحهم وصلاح الأمة جمعاء، وتحذيرهم مما فيه ضرر عليهم وعلى الأمة.

٣٤ـ التثبت في الأخبار، وعدم التسرع في إطلاق الأحكام: بخلاف الذين يسارعون في إطلاق الأحكام، ويتهافتون على إلصاق التهم بالأبرياء، فَيُفَسِّقُون، ويبدعون، ويكفرون بالتهمة والظنة، من غير ما برهان أو بينة.

٣٥ـ حصول البشرى عند الممات: وذلك لإيمانهم بالله، واستقامتهم على أمره، قال ـ تعالى ـ: [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ] (فصلت: ٣٠).

٣٦ـ مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات: فمن أسباب مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات ـ بل هو أساسها وأصلها ـ صحةُ العقيدة، وقوة الإيمان.

وأهل السنة والجماعة أصح الناس عقيدةً، وأقواهم إيماناً؛ ولذلك فأعمالهم تضاعف مضاعفة كبيرة، ودرجاتهم ترفع وتعلو عُلواً لا يدانيه أحد، ولا

يشاركهم فيه إلا من كان على مثل ما هم عليه من العقيدة والإيمان.

ولهذا كان السلف يقولون:«أهل السنة والجماعة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إن كثرت أعمالهم قعدت بهم عقائدهم».

هذه مآثر أهل السنة والجماعة، وهذه بعض خصائصهم التي تميزوا بها على غيرهم، وتلك هي الخصال التي طبقها سلفنا الصالح ـرحمهم الله ورضي عنهمـ فنالوا الخيرات، وحصلوا على البركات.

وليس معنى ذلك أن أهل السنة معصومون؟ لا، بل إن منهجهم هو المعصوم، وجماعتهم هي المعصومة.

أما آحادهم فقد يقع منه الظلم والبغي، والعدوان، وارتكاب المخالفات.

ولكن ذلك قليل بالنسبة إلى غيرهم، ولا يُقَرُّ من فعل ذلك منهم، بل يبتعد عن السنة بقدر مخالفته.

ثم إن ما عند أهل السنة من مخالفات وأخطاء فعند غيرهم أكثر مما عندهم، وما عند غيرهم من فضل وعلم وكمال فعند أهل السنة أكمله وأتمه.

فما أجدرنا ـمعاشر المسلمينـ أن نأخذ بمنهج أهل السنة، وأن نوطن أنفسنا على ذلك، وما أحرانا ـنحن أهل السنةـ أن نقوم بالسنة حق القيام، وأن نقتدي بسلفنا الصالح في كل أمورنا؛ لنرضي ربنا ـجل وعلاـ ولنعطي صورة مشرقة عن الإسلام الصحيح النقي؛ ليقبل الناس عليه، ويحرصوا على الدخول فيه، ولئلا نصبح فتنة لغيرنا من الكفار والمبتدعة، فإذا رأوا ما عليه بعض أهل السنة من بعد عن المنهج ـ قالوا: إذا كان خاصة المؤمنين بهذه المثابة فلا لوم علينا ولا تثريب، وبذلك تندرس معالم الحق، وتنطمس أنوار الهدى.

وأخيراً: نحمد الله أن جعلنا من أهل السنة، ونسأله أن يتم علينا النعمة والمنة، وأن يرزقنا لزوم السنة، والعمل بالسنة، وأن يتوفانا على السنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

خصائص أهل السنة والجماعة

كما أن لعقيدة أهل السنة والجماعة ميزاتٍ تمتاز بها عن غيرها من العقائد ـ فكذلك لأهل السنة خصائص وميزات يمتازون بها عن غيرهم من أهل الملل والنحل، ويجدر بكل من انتسب إليهم أن يأخذ بها، ويأطر نفسه عليها، حتى ينال ما ناله أسلافه من خير وفضل.

فمن تلك الخصائص التي تميز بها أهل السنة والجماعة ما يلي:

١ـ **الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة:** فهم ينهلون من هذا المنهل العذب عقائدَهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكَهم، وأخلاقهم، فكل ما وافق الكتاب والسنة قبلوه وأثبتوه، وكل ما خالفهما ردوه على قائله كائناً من كان.

٢ـ **التسليم لنصوص الشرع، وفهمها على مقتضى منهج السلف:** فهم يسلِّمون لنصوص الشرع، سواء فهموا الحكمة منها أم لا، ولا يعرضون النصوص على عقولهم، بل يعرضون عقولهم على النصوص، ويفهمونها كما فهمها السلف الصالح.

٣ـ **الاتباع وترك الابتداع:** فهم لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، ولا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي"ولا يرضون لأحد كائناً من كان أن يرفع صوته فوق صوت النبي".

٤ـ **الاهتمام بالكتاب والسنة:** فهم يهتمون بالقرآن حفظاً وتلاوة، وتفسيراً، وبالحديث دراية ورواية.

بخلاف غيرهم من المبتدعة الذي يهتمون بكلام شيوخهم أكثر من اهتمامهم

بالكتاب والسنة.

٥ـ احتجاجهم بالسنة الصحيحة وترك التفريق بين المتواتر والآحاد: سواء في الأحكام أو العقائد، فهم يرون حجية الحديث إذا صح عن رسول الله"ولو كان آحاداً.

٦ـ ليس لهم إمام معظم يأخذون كلامه كله، ويدعون ما خالفه إلا الرسول": أما غير الرســـول "فإنهم يعرضون كلامه على الكتاب والسنة، فما وافقهما قُبِل، وما لا فلا، فهم يعتقدون أن كلَّ أحدٍ يؤخذ من قوله ويُرَدُّ إلا الرسول ".

أما غيرهم من الفرق الأخرى، ومن متعصبة المذاهب ـ فإنهم يأخذون كلام أئمتهم كله حتى ولو خالف الدليل.

٧ـ هم أعلم الناس بالرسول": فهم يعلمون هديه، وأعماله، وأقواله، وتقريراته؛ لذلك فهم أشد الناس حباً له، واتباعاً لسنته.

بخلاف غيرهم من أهل البدع الذي يعرفون عن أئمتهم ما لا يعرفونه عن رسول الله".

٨ـ الدخول في الدين كله: فهم يدخلون في الدين كله، ويؤمنون بالكتاب كله؛ امتثالاً لقوله ـتعالىـ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً] (البقرة: ٢٠٨).

بخلاف الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وبخلاف الذين نسوا حظاً مما ذكروا به، والذين جعلوا القرآن عضين؛ فآمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض.

٩_ تعظيم السلف الصالح: فأهل السنة يعظمون السلف الصالح وهم أهل القرون المفضَّلة، ومن تبعهم بإحسان، ويقتدون بهم، ويهتدون بهديهم، ويرون أن طريقتهم هي الأسلم، والأعلم، والأحكم.

١٠_ الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة، ورد المتشابه إلى المحكم: فهم يجمعون بين النصوص الشرعية في المسألة الواحدة، ويردون المتشابه إلى المحكم؛ حتى يصلوا إلى الحق في المسألة.

١١_ الجمع بين العلم والعبادة: بخلاف غيرهم، فإما أن يشتغل بالعبادة عن العلم، أو بالعلم عن العبادة، أما أهل السنة والجماعة فيجمعون بين الأمرين.

١٢_ الجمع بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب: فهم لا ينكرون الأسباب، ولا تأثيرها إذا ثبتت شرعاً أو قدراً، ولا يَدَعُون الأخذ بالأسباب، وفي الوقت نفسه لا يلتفتون إليها.

ولا يرون أن هناك تنافياً بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب؛ لأن نصوص الشرع حافلة بالأمر بالتوكل على الله، والأخذ بالأسباب المشروعة أو المباحة في مختلف شؤون الحياة، فقد أمرت بالعمل، والسعي في طلب الرزق، والتزود للأسفار، واتخاذ العدد في مواجهة العدو.

١٣_ الجمع بين التوسع في الدنيا والزهد بها: فأهل السنة والجماعة لا ينكرون على من يتوسع في الدنيا، ويسعى في كسب الرزق، بل يرون أنه ينبغي للإنسان أن يكفي نفسه ومن يعول، ويستغني عن الناس، ويقطع الطمع مما في أيديهم، على ألا تكون الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه، وعلى ألا يكتسب المال من غير حله، كما لا يعيبون على من آثر الكفاف، ورضي بالقليل من متاع

الدنيا، لأنهم يرون أن الزهد إنما هو زهد القلب، وهو أن يترك الإنسان ما لا ينفع في الآخرة.

أما إذا توسع العبد في الدنيا، وجعلها في يده لا في قلبه، يرفد بها الإخوان، ويتصدق على الفقراء والمساكين، ويعين بها على نوائب الحق ــ فذلك من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء؛ كما هو حـــال الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم من أثرياء الصحابة من المهاجرين والأنصار ــرضي الله عنهمــ.

وكحال ابن المبارك رحمه الله فلقد كان من أغنى أهل زمانه، وهو في الوقت نفسه من أزهدهم إن لم يكن أزهدهم.

١٤ــ الجمع بين الخوف والرجاء والحب: فأهل السنة والجماعة يجمعون بين هذه الأمور، ويرون أنه لا تنافي ولا تعارض بينها.

قال الله ــسبحانه وتعالىــ في وصف عباده الأنبياء والمرسلين: [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ](الأنبياء: ٩٠).

وقال في معرض الثناء على سائر عباده المؤمنين: [تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ](السجدة: ١٦).

وهناك مقولة مشهورة عند السلف، وهي قولهم: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف فهو حروري[١] ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالخوف، والحب، والرجاء فهو مؤمن موحِّد».

١ــ نسبة إلى حروراء مدينة في العراق وهي موطن الخوارج الأوائل.

١٥ـ الجمع بين الرحمة واللين والشدة والغلظة: بخلاف غيرهم ممن يأخذ جانباً من هدي السلف ويدع الجانب الآخر، فيأخذون بالشدة في جميع أحوالهم، أو باللين في جميع أحوالهم.

أما أهل السنة فيجمعون بين هذا وهذا، وكل في موضعه، حسب ما تقتضيه المصلحة، ومقتضيات الأحوال، وإن كان الأصل في معاملتهم لزوم الرفق، والأخذ باللين.

١٦ـ الجمع بين العقل والعاطفة: فعقولهم راجحة، وعواطفهم صادقة، ومعاييرهم منضبطة، فلم يغلِّبوا جانب العقل على العاطفة، ولا جانب العاطفة على العقل، وإنما جمعوا بينهما على أكمل وجه وأتمه، فمع أن عواطفهم قوية مشبوبة إلا أن تلك العواطف تضبط بالعقل، وذلك العقل يضبط بالشرع.

[نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ] (النور:٣٥).

١٧ـ العدل: فالعدل من أعظم المميزات لأهل السنة والجماعة، فهم أعدل الناس، وأولاهم بامتثال قول الله ـعز وجلـ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ](النساء:١٣٥).

وقوله: [وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى] (الأنعام: ١٥٢).

حتى إن الطوائف الأخرى إذا تنازعت احتكمت إلى أهل السنة.

١٨ـ الأمانة العلمية: فالأمانة زينة العلم، وروحه الذي يجعله زاكي الثمر، لذيذ المطعم، وأهل السنة لهم القِدحُ المعلى في ذلك الشأن.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم ـ الأمانة في النقل، والبعد عن التزوير، وقلب الحقائق، وبتر النصوص، أوتحريفها، فإذا نقلوا عن مخالف لهم نقلوا كلامه

تامّاً، فلا يأخذون منه ما يوافق ما يذهبون إليه، ويدعون ما سواه؛ كي يدينوا المخالف لهم، وإنما ينقلون كلامه تامّاً، فإن كان حقاً أقرّوه، وإن كان باطلاً ردّوه، وإن كان فيه وفيه، قبلوا الحق وردّوا الباطل، كل ذلك بالدليل القاطع، والبرهان الساطع.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم أنهم لا يحمّلون الكلام ما لا يحتمل، وأنهم يذكرون ما لهم وما عليهم، وأنهم يرجعون للحق إذا تبيّن، ولا يفتون ولا يقضون إلا بما يعلمون.

كما أنهم أحرص الناس على نسبة الكلام إلى قائله، وأبعدهم من نسبته إلى غير قائله.

١٩ـ الوسطية: قال ـ تعالى ـ: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً](البقرة:١٤٣).

فالوسطية من أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة.

فكما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم التي تجنح إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك ـ فكذلك أهل السنة والجماعة؛ فهم متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم.

وتتجلى وسطية أهل السنة والجماعة في شتى الأمور؛ سواء في باب العقيدة، أو الأحكام، أو السلوك، أو الأخلاق، أو غير ذلك.

٢٠ـ عدم الاختلاف في أصول الاعتقاد: فالسلف الصالح لا يختلفون ـ بحمد الله ـ في أصل من أصول الدين، وقواعد الاعتقاد؛ فقولهم في أسماء الله وصفاته وأفعاله واحد، وقولهم في الإيمان وحقيقته ومسائله واحد، وقولهم في

القدر واحد، وهكذا في باقي الأصول.

٢١ــ ترك الخصومات في الدين، ومجانبة أهل الخصومات: لأن الخصومات مدعاةٌ للفرقة والفتنة، ومجلبةٌ للتعصب واتباع الهوى، ومطيةٌ للانتصار للنفس، والتشفي من الآخرين، وذريعة للقول على الله بغير علم.

أخرج الآجري رحمه الله بسنده عن مسلم بن يسار رحمه الله أنه قال: «إياكم والمراءَ؛ فإنه ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته».

وأخرج أن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله قال: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل».

وقال جعفر بن محمد رحمه الله: «إياكم والخصوماتِ؛ فإنها تشغل القلب وتورث النفاق».

٢٢ــ الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق: فهم حريصون كل الحرص على وحدة المسلمين، ولمِّ شعثهم، وجمع كلمتهم على الحق، وإزالة أسباب النزاع والفرقة بينهم؛ لعلمهم أن الاجتماع رحمة، وأن الفرقة عذاب؛ ولأن الله ــعز وجلــ أمر بالائتلاف، ونهى عن الاختلاف كما في قوله ــتعالىــ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا] (آل عمران:١٠٢، ١٠٣).

بخلاف الذين يسعون للفرقة بين المسلمين، ويبذرون بذور الشقاق في صفوفهم، فيفرقونهم عند أدنى نازلة، ويحزبونهم، ويؤلبون بعضهم على بعض، ويُغْرُون بعضهم ببعض.

٢٣ــ سعة الأفق: فهم أوسع الناس أفقاً، وأبعدهم نظراً، وأرحبهم بالخلاف

صدراً، وأكثرهم للمعاذير التماساً.

وهم لا يأنفون من سماع الحق، ولا تحرج صدورهم من قبوله، ولا يستنكفون من الرجوع إليه، والأخذ به.

ثم إنهم لا يُلزمون الناس باجتهاداتهم، ولا يضللون كل من خالفهم، ولا تضيق أعطانهم في الأمور الاجتهادية، التي تختلف فيها أفهام الناس.

ومن مظاهر سعة الأفق عندهم بعدهم عن التعصب المقيت، والتقليد الأعمى، والحزبية الضيقة.

٢٤ـ حسن الخلق: فأهل السنة أحسن الناس خلقاً، وأكثرهم حلماً وسماحة وتواضعاً، وأحرصهم دعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال.

٢٥ـ هم أهل الدعوة إلى الله: فهم يدعون إلى دين الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ويسلكون في ذلك شتى الطرق المشروعة والمباحة؛ حتى يعرف الناس ربهم، ويعبدوه حق عبادته.

فلا أحد أحرص منهم على هداية الخلق، ولا أحد أرحم منهم بالناس.

٢٦ـ هم الغرباء: الذين يُصْلحُونَ ما أفسد الناس، ويَصلُحون إذا فسد الناس.

٢٧ـ هم الفرقة الناجية: التي تنجو من البدع والضلالات في هذه الدنيا، وتنجو من عذاب الله يوم القيامة.

٢٨ـ وهم الطائفة المنصورة: لأن الله معهم، وهو مؤيدهم وناصرهم.

٢٩ـ لا يوالون ولا يعادون إلا على أساس الدين: فلا ينتصرون لأنفسهم، ولا يغضبون لها، ولا يوالون لِعُبِّيَّة جاهلية، أو عصبية مذهبية، أو راية حزبية، وإنما يوالون على الدين، فولاؤُهم لله، وبراؤهم لله، ومواقفهم ثابتة، لا تتبدل

ولا تتغير.

٣٠ـ سلامتهم من تكفير بعضهم لبعض: فأهل السنة سالمون من ذلك، فهم يردون على المخالف ولو كان منهم، ويوضحون الحق للناس، فهم يُخطِّئون، ولا يكفرون، ولا يبدعون، ولا يفسقون إلا من استحق ذلك.

بخلاف غيرهم من الطوائف الأخرى كالخوارج الذي يكثر فيهم الاختلاف والتضليل والتكفير؛ ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها.

٣١ـ سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب الرسول": فقلوبهم عامرة بحبهم، وألسنتهم تلهج بالثناء عليهم، فأهل السنة يرون أن الصحابة خير القرون؛ لأن الله ـ عز وجل ـ زكاهم وكذلك رسوله".

٣٢ـ سلامتهم من الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض: فأهل السنة والجماعة أكثر الناس رضاً ويقيناً، وطمأنينة، وإيماناً، وأبعدهم عن الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض.

حتى إنه ليوجد عند عوام أهل السنة من بَرْدِ اليقين، وحسن المعتقد، والبعد عن الحيرة ــ ما لا يوجد عند علماء الطوائف الأخرى من أهل الكلام وغيرهم ممن اضطربوا في تقرير عقائدهم فحاروا وحيَّروا، وتعبوا وأتعبوا.

٣٣ـ يدينون بالنصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين وعامتهم: منطلقين بذلك من قول النبي ":«**الدين النصيحة**» قالوا: لمن يا رسول الله؟ **قال:** «**لله ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين، وعامتهم**».

فهم ينصحون لله إيماناً به، وقياماً بحقه، وعبودية له ظاهراً وباطناً.

وينصحون لكتاب الله بالإقبال عليه تلاوة وحفظاً وتدبراً وتعلماً لألفاظه ومعانيه، وعملا به، ودعوة للناس إليه.

وينصحون للرسول"بمحبته، وتعظيمه، وتوقيره، والإقتداء به، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والذب عنه، ونصرة دينه، وتقديم قوله على قول كل أحد من البشر.

وينصحون لأئمة المسلمين ــمن الإمام الأعظم إلى من دونه ممن لهم ولاية خاصة أو عامةــ باعتقاد ولايتهم، وبالسمع والطاعة لهم بالمعروف، وببذل المستطاع لإرشادهم، وتنبيههم على ما فيه صلاحهم وصلاح الأمة جمعاء، وتحذيرهم مما فيه ضرر عليهم وعلى الأمة.

٣٤ــ التثبت في الأخبار، وعدم التسرع في إطلاق الأحكام: بخلاف الذين يسارعون في إطلاق الأحكام، ويتهافتون على إلصاق التهم بالأبرياء، فَيُفَسِّقُون، ويبدعون، ويكفرون بالتهمة والظنة، من غير ما برهان أو بينة.

٣٥ــ حصول البشرى عند الممات: وذلك لإيمانهم بالله، واستقامتهم على أمره، قال ــتعالىــ:[إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ] (فصلت: ٣٠).

٣٦ــ مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات: فمن أسباب مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات ــبل هو أساسها وأصلهاــ صحةُ العقيدة، وقوة الإيمان.

وأهل السنة والجماعة أصح الناس عقيدةً، وأقواهم إيماناً؛ ولذلك فأعمالهم تضاعف مضاعفة كبيرة، ودرجاتهم ترفع وتعلو عُلواً لا يدانيه أحد، ولا

يشاركهم فيه إلا من كان على مثل ما هم عليه من العقيدة والإيمان.

ولهذا كان السلف يقولون:«أهل السنة والجماعة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إن كثرت أعمالهم قعدت بهم عقائدهم».

هذه مآثر أهل السنة والجماعة، وهذه بعض خصائصهم التي تميزوا بها على غيرهم، وتلك هي الخصال التي طبقها سلفنا الصالح ـ رحمهم الله ورضي عنهم ـ فنالوا الخيرات، وحصلوا على البركات.

وليس معنى ذلك أن أهل السنة معصومون؟ لا، بل إن منهجهم هو المعصوم، وجماعتهم هي المعصومة.

أما آحادهم فقد يقع منه الظلم والبغي، والعدوان، وارتكاب المخالفات.

ولكن ذلك قليل بالنسبة إلى غيرهم، ولا يُقَرُّ من فعل ذلك منهم، بل يبتعد عن السنة بقدر مخالفته.

ثم إن ما عند أهل السنة من مخالفات وأخطاء فعند غيرهم أكثر مما عندهم، وما عند غيرهم من فضل وعلم وكمال فعند أهل السنة أكمله وأتمه.

فما أجدرنا ـ معاشر المسلمين ـ أن نأخذ بمنهج أهل السنة، وأن نوطن أنفسنا على ذلك، وما أحرانا ـ نحن أهل السنة ـ أن نقوم بالسنة حق القيام، وأن نقتدي بسلفنا الصالح في كل أمورنا؛ لنرضي ربنا ـ جل وعلا ـ ولنعطي صورة مشرقة عن الإسلام الصحيح النقي؛ ليقبل الناس عليه، ويحرصوا على الدخول فيه، ولئلا نصبح فتنة لغيرنا من الكفار والمبتدعة، فإذا رأوا ما عليه بعض أهل السنة من بعد عن المنهج ـ قالوا: إذا كان خاصة المؤمنين بهذه المثابة فلا لوم علينا ولا تثريب، وبذلك تندرس معالم الحق، وتنطمس أنوار الهدى.

وأخيراً: نحمد الله أن جعلنا من أهل السنة، ونسأله أن يتم علينا النعمة والمنة، وأن يرزقنا لزوم السنة، والعمل بالسنة، وأن يتوفانا على السنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مصادر الدين هي: الكتاب والسنة (الوحي فحسب)[(١)]

المنهج الحق، منهج السلف الصالح، أهل السنة والجماعة يقوم على: أن مصادر الدين: الكتاب والسنة، والإجماع (وهو مبني عليهما)، وما عدا ذلك فهو باطل؛ لأنه بموت النبي ﷺ انقطع الوحي، وقد أكمل الله تعالى الدين، قال تعالى: ﴿.. الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ..﴾ [المائدة: ٣]، والرسول ﷺ قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وقال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**»[(٢)].

والدين الحق يقوم على التسليم لله تعالى؛ والتسليم يرتكز على: التصديق والامتثال، والاتباع لرسول الله ﷺ وهو دين الله تعالى، أنزله على رسوله ﷺ بالوحي وأكمله فليس لأحد أن يُحْدث شيئاً زاعماً أنه من الدين لأن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(٣)] فالدين كله عقيدة وشريعة، لا يجوز استمداده إلا من الوحي.

---

(١) راجع مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، للمؤلف ص٨٨، ومناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع للمؤلف كذلك ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) صحيح الجامع الصغير (٢٩٣٤).

(٣) متفق عليه البخاري رقم (٢٦٩٧) ومسلم رقم (١٧١٨).

والعقيدة هي أصول الدين وثوابته وقواطعه، وعليه فإن: مصادر تلقي العقيدة الحق، هي: الكتاب، والسنة وإجماع السلف، وهذه هي مصادر الدين، ويتفرع عن هذه القاعدة العظيمة الأصول التالية:

١ ـ إذا اختلفت فهوم الناس لنصوص الدين، فإنَّ فَهْمَ السلف (الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم) هو الحجة، وهو القول الفصل في مسائل الاعتقاد وغيرها لأنهم خيار الأمة، وأعلمها وأنقاها وقد أمرنا الله وأمرنا رسوله ﷺ بالاقتداء بهم، والرجوع إليهم، وتوعد من اتبع غير سبيلهم، وعليه فإن:

٢ ـ منهج السلف في تقرير العقيدة يعتمد على الكتاب والسنة، ولذلك كان هو الأعلم والأسلم والأحكم. ويتمثل ذلك بآثارهم المبثوثة في مصنفاتهم، وفي كتب السنة والآثار.

٣ ـ العقيدة توقيفية لا يجوز تلقيها من غير الوحي؛ لأنها غيب لا تحيط بهامدارك البشر، ولا عقولهم ولا علومهم.

٤ ـ العقيدة غيبية في تفاصيلها، فلاتدركها العقول استقلالاً، ولا تحيط بها الأوهام، ولا تدرك بالحواس والعلوم الإنسانية ولا غيرها.

٥ ـ كل من حاول تقرير العقيدة واستمدادها من غير مصادرها الشرعية فقد افترى على الله كذباً، وقال على الله بغير علم.

٦ ـ كما أن العقيدة مبناها على التسليم والاتباع: التسليم لله تعالى، والاتباع لرسوله ﷺ.

قال الزهري: (منَ الله ـ عز وجل ـ الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغَ، وعلينا التسليم)[١].

٧ ـ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأئمة التابعين وتابعيهم وأعلام السنة ـ السلف الصالح ـ كانوا على هدي رسول الله ﷺ، وسبيلهم هو سبيل المؤمنين، وآثارهم هي السنة والطريق المستقيم. قال الأوزاعي: (عليك بآثار مَنْ سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التوحيد، باب (٤٦)، والفتح جـ ١٣، صـ٥٠٨.

(٢) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله برقم (٢٠٧٧، ٢٠٧٨) ٢ / ١٠٧١ وقال المحقق إسناده صحيح، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٤١ـ١٦٠)/ ٤٩٠.

مصادر التلقي عند أهل الأهواء

أما أهل الأهواء فقد تفرقت بهم السبل في مصادر تلقي الدين والعقيدة، وتنوعت مشاربهم ومصادرهم، فجعلوا من مصادر الدين وتلقي العقيدة:

١ ـ العقليات والأهواء والآراء الشخصية، والأوهام والظنون وهي من وساوس الشياطين وأوليائهم، ومن اتباع الظن وما تهوى الأنفس.

٢ ـ الفلسفة وتقوم على أفكار الملاحدة والمشركين من الصابئة واليونان والهنود والدهريين ونحوهم، والفلسفة أوهام وتخرصات ورجم بالغيب.

٣ ـ عقائد الأمم الأخرى ومصادرها، مثل كتب أهل الكتاب وأقوالهم، والمجوس والصابئة، والديانات الوضعية الوثنية.

٤ ـ الوضع والكذب (لدى الرافضة والصوفية وغالب الفرق)، ومصدره الزنادقة ورؤوس أهل البدع، فإنهم يكذبون على النبي ﷺ، وعلى الصحابة والتابعين وأئمة الهدى وسائر الناس، ويضعون الأحاديث والروايات بأسانيد وهمية ومختلقة.

٥ ـ الرؤى والأحلام والكشف والذوق (لدى الصوفية والرافضة ونحوهم)، ومصدرها الأهواء وإيحاء الشياطين.

٦ ـ المتشابه والغريب والشاذ من الأدلة الشرعية واللغة وأقوال الناس.

٧ ـ الاعتماد على آراء الرجال دون عرضها على الشرع أو القول بعصمتهم وتقديسهم.

سلامة منهج الاستدلال عند السلف أهل السنة وفساد مناهج المخالفين في ذلك

منهج الاستدلال هو: الأصول والقواعد، والطريقة التي يتم بها تلقي الدين وتقرير العقيدة، واستنباط الأحكام من النصوص الشرعية وقواعد الشرع المبنية عليها.

ومنهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة يقوم على القواعد التالية:

١ ـ حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الوحي) في الدين.

٢ ـ مراعاة قواعد الاستدلال، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد والنفي والإثبات، و العموم والخصوص، ويقولون بالنسخ في الأحكام ونحو ذلك.

٣ ـ يعملون بكل ما صح من الأدلة الشرعية دون تفريق بين آحاد وغيره.

٤ ـ يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة والعكس، ويعتمدون معاني لغة العرب ولسانهم؛ لأنها لغة القرآن والسنة، ويردون ما يخالف ذلك.

٥ ـ يعتمدون تفسير الصحابة، وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم؛ لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ وهم أفضل الأمة وأزكاها، وعاشوا وقت تنزل الوحي وأعلم باللغة ومقاصد الشرع، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين هم بهم مقتدون.

٦ ـ ما بلغهم وعلموه من الدين عملوا به، وما اشتبه عليهم علمه، أو علم كيفيته، (كبعض نصوص الغيبيات والقدر) يسلمون به ويردون علمه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولا يخوضون فيه.

٧ ـ يتجنبون الألفاظ البدعية في العقيدة (كالجوهر والعرض والجسم) لاحتمالها للخطأ والصواب؛ ولأن في ألفاظ الشرع غنى وكمالاً.

٨ ـ يتجنبون المراء والخصومات في الدين، ولا يجادلون إلا بالتي هي أحسن.

٩ ـ ينفون التعارض بين العقل السليم والفطرة وبين نصوص الشرع، وبين الحقيقة والشريعة وبين القدر والشرع، وما يتوهمه أهل الأهواء من التعارض بين العقل والنقل فهو من عجز عقولهم وقصورها.

١٠ ـ يتجنبون التأويل في العقيدة والغيبيات ـ بغير دليل شرعي صريح ـ لأنه قول على الله بغير علم؛ ولأن مسائل العقيدة والغيبيات توقيفية لا مجال للرأي ولا للعقل فيها ولا تدرك بالعلوم الحسية.

١١ ـ يعنون بالإسناد وثقة الرواة وعدالتهم لحفظ الدين.

أما منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع والافتراق إجمالاً فإنه يقوم على الأسس التالية:

١ ـ عدم حصر الاستدلال على الدليل الشرعي، حتى في العقائد، (وهي توقيفية)، فإنهم يستدلون بالظنيات والأوهام، والفلسفات، ويسمونها (العقليات)، كما يستدلون بالحكايات والأساطير وما لا أصل له وبالأحاديث الموضوعة والآثار المكذوبة، وآراء الرجال في الدين، وما يسمونه الكشف والذوق والأحلام ونحو ذلك.

٢ ـ لا يراعون قواعد الاستدلال، فيتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾[آل عمران: ٧]، ويضربون الأدلة بعضها ببعض، ويزعمون التعارض بينها، ويستدلون بالمجمل ولا يردونه إلى المبيِّن، ولا يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، ولا النفي والإثبات، ولا العموم والخصوص.

٣ ـ يضعون لأنفسهم أصولاً يبتدعونها بأهوائهم، وينتزعون لها أدلة من القرآن والسنة، على غير المنهج الشرعي في الاستدلال، وما لا يوافق أصولهم وأهواءهم من نصوص الشرع، يردونه، أو يؤولونه.

٤ ـ يفسرون نصوص الشرع بأهوائهم، فلا يعتمدون تفسير بعضها ببعض، ولا يعتمدون معاني اللغة، وبعضهم قد يستدل ببعض وجوه اللغة بمعزل عن فهم السلف، وعن الدلالات الأخرى.

٥ ـ لا يعتمدون تفسير الصحابة والسلف الصالح، ولا فهمهم للنصوص، ولا آثارهم وعملهم وهديهم، بل يجانوبنهم، ويتبعون غير سبيل المؤمنين.

٦ ـ يخوضون فيما نهى الله عنه من نصوص القدر والصفات والسمعيات ونحوها ﴿ **ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٧] .

٧ ـ يعتمدون الألفاظ البدعية في الصفات وسائر العقيدة (كالجسم والعرض والجوهر).

٨ ـ يقوم منهجهم على المراء والخصومات والجدال بالباطل.

٩ ـ يتوهمون التعارض بين العقل والشرع، وبين الحقيقة

والشريعة وبين القدر والشرع، وبين أصولهم والشرع ثم يحكمون أهواءهم وأصولهم وعقلياتهم الفاسدة ويقدمونها على الشرع.

١٠ - يعتمدون التأويل في العقيدة، ويقولون على الله بغير علم ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

١١ - ليس لهم عناية بالإسناد؛ لتعويلهم على الأهواء وآراء الرجال، والوضع وما لا أصل له، ولذلك يعتمدون الأحاديث الموضوعة والضعيفة، وما لا أصل له، وبالمقابل قد يردون الأحاديث الصحيحة إذا خالفت أهواءهم كما سبق بيانه.

المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالله، وثمراته، وأدلته

أولاً: مفهوم الإيمان بالله وما يتضمنه

للإيمان بالله وتوحيده عدة تعريفات، تتفق في المعنى وربما اختلفت ألفاظها، فمن تلك التعريفات مايلي:

١ـ هو إفراد الله بما يستحق.

٢ـ هو إفراد الله بحقوقه.

٣ـ هو التصديق الجازم بوجود الله ـتعالىـ وتوحيده بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته[١].

٤ـ هو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبر للكون كله، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأن كل معبود سواه فهو باطل، وعبادته باطلة، وأنه ـسبحانهـ متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال، منزه عن كل نقص وعيب.

من خلال ما مضى يتبين أن الإيمان بالله يتضمن أموراً أربعة:

١ـ الإيمان بوجود الله: وذلك باعتقاد وجوده وجوداً كاملاً لم يسبق بعدم، ولا ينتهي بفناء.

٢ـ الإيمان بربوبيته: وذلك باعتقاد انفراده ـعز وجلـ بأفعاله، وأنه لا شريك له في خلقه، وملكه، وتدبيره، وغير ذلك من مقتضيات الربوبية.

١ـ انظر أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للشيخ حافظ الحكمي ص٥٠.

٣ـ الإيمان بأسمائه وصفاته: وذلك باعتقاد أن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف.

٤ـ الإيمان بألوهيته: وذلك بإفراده ـعز وجلـ بأفعال العباد؛ فلا يُصْرَفُ أيُّ نوعٍ من أنواع العبادة لغيره ـتبارك وتعالىـ.

ثانياً: ثمرات الإيمان بالله

للإيمان بالله ثمرات جليلة، وفوائد جمة، وفضائل كثيرة، منها:

١ـ الأمن التام والاهتداء التام: فبحسب الإيمان يحصل الأمن والاهتداء في الدنيا والبرزخ والآخرة قال ـعز وجلـ: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ] (الأنعام: ٨٢).

٢ـ الإيمان بالله طاعة لله ـعز وجلـ: فالله أمرنا بالإيمان به، وطاعتُه واجبةٌ، وهي أصل كل خير، قال ـتعالىـ: [قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ] (البقرة: ١٣٦).

٣ـ حصول الاستخلاف في الأرض والتمكين والعزة: قال ـعز وجلـ: [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً] (النور: ٥٥).

٤ـ دخول الجنان والنجاة من النيران: قال ـتعالىـ: [إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ] (محمد: ١٢).

٥ـ الحياة الطيبة: فالحياة الطيبة الحافلة بكل ما هو طيب إنما هي ثمرة من

وحدت فلان بالقيام، حيث نفيت القيام عمن سواه، وهذا هو تحقيق التوحيد في الواقع، أي أن التوحيد لا يكون توحيدا حتى يتضمن نفيا وإثباتا.

* * *

أنواع التوحيد

س٧: نود أن تعرف أنواع التوحيد على سبيل الإجمال؟

الجواب: أنواع التوحيد حسب ما ذكره أهل العلم ثلاث: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. وعلموا ذلك بالتتبع والاستقراء، والنظر في الآيات والأحاديث، فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة، فنوعوا التوحيد إلي ثلاثة أنواع.

س٨: ما هي أنواع التوحيد مع التوضيح والأمثلة لذلك؟.

الجواب: أنواع التوحيد بالنسبة لله ، تدخل كلها في تعريف عام، وهو إفراد الله بما يختص به، وهي ثلاثة أنواع:

توحيد الربوبية: وهو إفراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير، فالله تعالى وحده هو الخالق، لا خالق سواه، قال الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر: ٣].

وقال تعالى مبينا بطلان آلهة الكفار: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]. فالله تعالى وحده هو الخالق، خلق كل شيء فقدره تقديرا، وخلقه يشمل ما يقع من مفعولاته، وما يقع من مفعولات خلقه أيضا، ولهذا كان من تمام الإيمان بالقدر، أن تؤمن بأن الله تعالي خالق لأفعال العباد، كما قال تعالي: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

ووجه ذلك: أن فعل العبد من صفاته، والعبد مخلوق لله، وخالق الشيء خالق لصفاته.

ووجه آخر: أن فعل العبد حاصل بإرادة جازمة وقدرة تامة، والإرادة والقدرة كلتاهما مخلوقتان لله تعالى ، وخالق السبب التام خالق للمسبب، فإذا قلت: كيف نقول إنه تعالى منفرد بالخلق، مع أن الخلق قد يثبت لغير الله، كما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. وقول النبي ﷺ في المصورين: «يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»(٢) .

فالجواب على ذلك : أن غير الله تعالى لا يخلق كخلق الله ، فلا يمكنه إيجاد معدوم ، ولا إحياء ميت ، وإنما خلق غير الله يكون بالتغيير ، وتحويل الشيء من صفة إلى أخرى ، وهو مخلوق لله تعالى ، فالمصور مثلا إذا صور صورة ، فإنه لم يحدث شيئا ، غاية ما هنالك أنه حول شيئا إلى شيء كما يحول الطين إلى صورة طير ، أو إلى صورة جمل وكما يحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة ، والمداد كله من خلق الله تعالى ، والورقة البيضاء أيضا من خلق الله تعالى ، فهذا هو الفرق بين إثبات الخلق بالنسبة لله تعالى وإثبات الخلق بالنسبة إلى المخلوق، وعلى هذا فيكون الله تعالى منفردا بالخلق الذي يختص به .

ثانيا : من توحيد الربوبية : إفراد الله تعالى بالملك ، فالله تعالى وحده هو المالك، كما قال تعالى : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] ، وقال تعالى : ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨] .

فالمالك الملك المطلق العام الشامل هو الله تعالى وحده ونسبة الملك إلي غيره نسبة إضافية فقد أثبت الله تعالى لغيره الملك ، كما في قوله تعالى : ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ [النور: ٦١]. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا

---

(٢) رواه : البخاري ، كتاب : اللباس ، باب : عذاب المصورين يوم القيامة ، حديث (٥٩٥١) ، ومسلم ، كتاب : اللباس والزينة ، باب : تحريم صورة الحيوان ، حديث (٢١٠٨) ، والنسائي ، حديث (٥٣٦١) ، وابن ماجه ، حديث (٢١٥١) ، وأحمد في مسنده (٢/٢٠) حديث (٤٧٠٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٢٦٨) حديث (١٤٣٤٣) .

مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ ﴾ [المؤمنون: ٦]. وما أشبه ذلك من النصوص الدالة على أن لغير الله تعالى ملكا، لكن هذا الملك ليس كملك الله فهو ملك قاصر، وملك مقيد ؛ ملك قاصر لا يشمل، فالبيت الذي لزيد لا يملكه عمرو، والبيت الذي لعمرو لا يملكه زيد، ثم هذا الملك مقيد، بحيث لا يتصرف الإنسان فيما ملك إلا على الوجه الذي أذن الله فيه، ولهذا نهي النبي ﷺ عن إضاعة المال (٣) .

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾ [النساء: ٥]. وهذا دليل على أن ملك الإنسان ملك قاصر، وملك مقيد، بخلاف ملك الله فهو ملك عام شامل، وملك مطلق، يفعل الله ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

الركن الثالث من أركان توحيد الربوبية : أن الله تعالى منفرد بالتدبير، فهو سبحانه الذي يدبر الخلق، يدبر أمر السموات والأرض كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهذا التدبير تدبير شامل، لا يحول دونه شيء، ولا يعارضه شيء، والتدبير الذي يكون لبعض المخلوقات، كتدبير الإنسان أمواله، وغلمانه، وخدمه، وما أشبه ذلك، هو تدبير ضيق محدود، ومقيد غير مطلق، فظهر بذلك صحة قولنا: إن توحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير، فهذا هو توحيد الربوبية.

أما النوع الثاني : فهو توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بالعبادة، بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحدا يعبده ويتقرب إليه، كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه، وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضل فيه المشركون، الذين قاتلهم النبي ﷺ،

(٣) رواه : البخاري ، كتاب : الزكاة ، باب : قوله تعالى : «لا يسألون الناس إلحافًا» حديث (١٤٧٧) ، ومسلم ، كتاب : الأقضية ، باب : النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ، حديث (٥٩٣) ، وأحمد في مسنده (٢٤٩/٤) ، وابن ماجه في صحيحه (٢٧/١٣) حديث (٥٧١٩) ، وأبو عوانة في مسنده (١٦٦/٤) حديث (٦٣٨٩) ، والبيهقي في الكبرى (٣٦/٦) حديث (١١١٢٢) .

المبحث الأول: مفهوم الربوبية

أولاً: معنى كلمة الرب

كلمة الرب في اللغة تطلق على عدة معانٍ:

قال ابن منظور: «الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبِّر، والمربي، والقيِّم، والمنعم».

وقال: «ولا يطلق غير مضاف إلا على الله _عز وجل_ وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: ربُّ كذا».

وقال:«وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله _تعالى_ وليس بالكثير، ولم يذكر في غير الشعر»[١].

وقال: «ورب كل شيء: مالكه ومستحقه، وقيل: صاحبه.

ويقال: فلان رب هذا الشيء أي مِلْكُه له.

وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هو ربُّ الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، وهن ربات الحجال» [٢].

أما الرب من حيث إنه اسم من أسماء الله فمعناه: من له الخلق والأمر والملك، قال _تعالى_:[أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ] (الأعراف: ٥٤).

وقال: [ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ](فاطر:١٣).

قال ابن منظور: «الرب: هو الله _عز وجل_ هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك

١_ لسان العرب ١/٣٩٩_٤٠٠.
٢_ لسان العرب ١/٣٣٩.

والأملاك»[١].

ثانياً: تعريف توحيد الربوبية

هو الإقرار الجازم بأن الله وحده ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، وأنه الخالق للعالم، المحيي المميت، الرزاق ذو القوة المتين، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا مماثل، ولا سمي، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته[٢].

وهناك تعريف آخر مختصر وهو: توحيد الله بأفعاله.

ثالثاً: أسماء توحيد الربوبية

لهذا النوع من التوحيد أسماء أخرى منها:

١_ توحيد الربوبية _كما سبق_. ٢_ التوحيد العلمي. ٣_ التوحيد الخبري.

٤_ توحيد المعرفة والإثبات. ٥_ التوحيد الاعتقادي.

رابعاً: أنواع ربوبية الله على خلقه

ربوبية الله على خلقه على نوعين:

١_ الربوبية العامة: وهي لجميع الناس؛ بَرِّهم وفاجرِهم مؤمنِهم وكافرِهم؛

١_ لسان العرب ٣٩٩/١.

٢_ انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله، ص٣٣_٣٤، وأعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص٥٥، وانظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان، ص١٦.

وهي خَلقه للمخلوقين، ورزقُهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

٢ـ **الربوبية الخاصة**: وهي تربيته لأوليائه المؤمنين، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب؛ فإن مطالبهم كلَّها داخلةٌ تحت ربوبيته الخاصة[1].

خامساً: توحيد الربوبية ليس هو الغايةَ في التوحيد

توحيد الربوبية حق، وأمره عظيم، ولا يصح إيمان العبد إذا لم يؤمن به، ولكن هذا النوع من أنواع التوحيد ليس هو الغايةَ التي جاءت بها الرسل، وأنزلت من أجلها الكتب، وليس الغايةَ التي من جاء بها فقد جاء بالتوحيد وكماله؛ ذلك أن الله أمر بعبادته التي هي كمال النفوس وصلاحها وغايتها، ولم يقتصد على مجرد الإقرار به كما هو غاية الطريقة الكلامية[2].

يُضاف إلى ذلك أن المشركين كانوا مقرين به، ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام؛ لأن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي وحده، بل لا بد من توحيد الألوهية.

ثم إن توحيد الربوبية مركوز في الفطر كلها، فلو كان هو الغاية لما كان هناك حاجة لإرسال الرسل وإنزال الكتب.

١ـ انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ ابن سعدي ٢٨٨/١.
٢ـ انظر مجموع الفتاوى ١٢/٢.

المبحث الثاني: أدلة توحيد الربوبية، وآثاره

أولاً: أدلة توحيد الربوبية

أدلة توحيد الربوبية كثيرة متنوعة، تدل على تفرد الله بالربوبية على خلقه أجمعين؛ فقد جعل الله لخلقه أموراً لو تأملوها حق التأمل وتفكروا بها _ لَدَلَّتْهُمْ إلى أن هناك خالقاً مدبراً لهذا الكون.

والقرآن مليء بذكر الأدلة على ربوبية الله، فمن ذلك قوله _تعالى_:[الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ](الفاتحة:٢)، وقوله [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ](الذاريات:٥٨)، وقوله:[إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)](يس)، وقوله: [إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] (البقرة:١٦٤)، وقوله _تعالى_:[اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] (الروم:٤٠).

ومن الدلالات على ربوبية الله على خلقه ما يلي:

١_ دلالة الفطرة: ذلك أن الله _سبحانه_ فطر خلقه على الإقرار بربوبيته، وأنه الخالق، الرازق المدبر، المحيي المميت؛ فالإيمان بالربوبية أمر جبلي مركوز في فطرة كل إنسان، ولا يستطيع أحد دفعه ولا رفعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:«ولما كان الإقرار بالصانع فطريّاً كما قال": «**كل مولود يولد على الفطرة**»[١] الحديث _ فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يُعْرَفُ ويُعْبَدُ»[٢].

ولهذا فإن المشركين في الجاهلية كانوا مقرين بتوحيد الربوبية مع شركهم بالألوهية.

ومما يدل على ذلك ما هو مبثوث في غضون أشعارهم، ومن ذلك قول عنترة:

يا عبل أين من المنية مهربي ... إن كان ربي في السماء قضاها[٣]

وقول زهير ابن أبي سلمى:

فلا تكتُمُنَّ الله ما في نفوسكم ... ليخفى ومهما يُكْتم الله يعلمِ

يُؤَخر فَيُوضَعْ في كتاب فيُدَّخرْ ... ليوم الحساب أو يُعَجَّلْ فينقمِ[٤]

ولقد بين الله _سبحانه وتعالى_ ذلك في القرآن كما في قوله: [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّا يُؤْفَكُونَ] (العنكبوت: ٦١).

٢_ دلالة الأنفس: فالنفس آيةٌ كبيرةٌ من آيات الله الدالة على ربوبيته، ولو أمعن الإنسان النظر في نفسه وما فيها من العجائب لعلم أن وراء ذلك رباً حكيماً خالقاً قديراً.

١_ أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).
٢_ مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦/٢.
٣_ ديوان عنترة ص ٧٤.
٤_ ديوان زهير بن أبي سلمى ص٢٤.

قال _تعالى_:[وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ] (التغابن:٣)، وقال:[وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧)](الشمس: ٧).

٣_ دلالة الآفاق: كما قال _سبحانه_:[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] (فصلت:٥٣) فلو تأمل الإنسان الآفاق وما أودع الله فيها من الغرائب والعجائب _ لأدرك أن هناك خالقاً لهذه الأكوان، وأنه عليم حكيم[1].

ثانياً: آثار توحيد الربوبية وثمراته

للإيمان بالربوبية آثار عظيمة، وثمرات كثيرة، فإذا أيقن المؤمن أن له ربّاً خالقاً هو الله _تبارك وتعالى_ وأن هذا الرب هو رب كلِّ شيءٍ ومليكُه، وهو مصرف الأمور، وأنه هو القاهر فوق عباده، وأنه لا يعزب عنه مثقالُ ذرةٍ في السموات والأرض _ أَنِسَت رُوحُه بالله، واطمأنت نفسه بذكره، ولم تزلزله الأعاصير والفتن، وتوجه إلى ربه بالدعاء، والالتجاء، والاستعاذة، وكان دائماً خائفاً من تقصيره، وذنبه؛ لأنه يعلم قدرة ربه عليه، ووقوعه تحت قهره وسلطانه، فتحصل له بذلك التقوى، والتقوى رأس الأمر، بل هي غاية الوجود الإنساني[2].

وهذا قال":«**ذاق طعم الإيمان من رضي الله ربّاً وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً**»[3].

١_ انظر الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ٧١_٧٢ للشيخ عبد الرزاق العباد، والإيمان بالله للكاتب ص١٤_٥٩.

٢_ انظر منهج جديد لدراسة التوحيد للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ص٨٢.

٣_ رواه مسلم (٣٤)، وأحمد ٢٠٨/١.

ومن ثمراته أن الإنسان إذا علم أن الله هو الرزاق، وآمن بذلك، وأيقن أن الله بيده خزائن السموات والأرض، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع _ قطع الطمع من المخلوقين، واستغنى عما بأيديهم، وانبعث إلى إفراد الله بالدعاء والإرادة والقصد.

ثم إذا علم أن الله هو المحيي المميت، النافع الضار، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن أمره كلَّه بيد الله _ انبعث إلى الإقدام والشجاعة غير هياب، وتحرر من رق المخلوقين، ولم يعد في قلبه خوف من سوى الله _عز وجل_.

وهكذا نجد أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية.

وبالجملة فإن الكلام في مقتضيات الربوبية، وما تثمره من ثمرات يفوق الحصر والعد، وما مضى إنما هو إشارات عابرة.

المبحث الثالث: الضلال في توحيد الربوبية

أولاً: مضادة توحيد الربوبية

يضاد توحيد الربوبية الإلحاد، وإنكار وجود الرب _عز وجل_.

ويضاده _أيضاً_ اعتقاد متصرف مع الله _عز وجل_ في أي شيء؛ من تدبير الكون، من إيجاد، أو إعدام، أو إحياء، أو إماتة، أو جلب خير، أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته، كعلم الغيب، أو كالعظمة، والكبرياء، ونحو ذلك[1].

وكما يضاده _أيضاً_ اعتقاد مشرع مع الله _عز وجل_ لأنه هو الرب وحده، وربوبيته شاملة لأمره الكوني والشرعي.

ثانياً: إنكار الربوبية

لم ينكرْ توحيدَ الربوبية أحدٌ من البشر إلا طائفة من الشذاذ المكابرين المعاندين المنكرين لما هو متقرر في فطرهم؛ فإنكارهم إنما كان بألسنتهم مع اعترافهم بذلك في قرارة أنفسهم.

ومن أشهر من عرف بذلك فرعون؛ الذي قال لقومه _كما أخبر الله عنه_:[أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى](النازعات:٢٤) وقال: [مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي] (القصص: ٣٨).

وكلامه هذا مجرد دعوى لم يَقُمْ عليها بينةٌ، ولا دليلٌ، بل كان هو نفسُه غير

١_ انظر أعلام السنة المنشورة ص ٥٦.

مؤمن بما يقول.

قال _تعالى_ على لسان موسى _عليه السلام_: [لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً] (الإسراء:١٠٢).

وأخبر _عز وجل_ وهو العليم بذات الصدور _ أن كلام فرعون ودعواه لم يكن عن عقيدة ويقين، وإنما هو مكابرة وعناد، قال _تعالى_:[وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً] (النمل: ١٤).

وممن أنكر ذلك _أيضاً_ الشيوعيون، فلقد أنكروا ربوبية الله، بل أنكروا وجوده _سبحانه وتعالى_ بناءاً على عقيدتهم الخبيثة الفاجرة التي تقوم على الكفر بالغيب، والإيمان بالمادة وحدها.

وهم في الحقيقة لم يزيدوا على أن سموا الله بغير اسمه، بحيث ألَّهوا الطبيعة، ونعتوها بنعوت الكمال التي لا تليق بأحد إلا الله _عز وجل_ فقالوا: الطبيعة حكيمة، الطبيعة تخلق، إلى غير ذلك.

وكلامهم هذا باطل متهافت، بل إن أصحاب هذا المبدأ انشقوا على أنفسهم، ولعن بعضُهم بعضاً، وكَفَّرَ بعضُهم ببعض[١].

ثالثاً: الفرق التي أشركت بالربوبية[٢]

هناك أقوامٌ أشركوا بالربوبية، وفِرَقٌ أشركت به، ومن هؤلاء:

---

١ _ انظر الشيوعية للكاتب.

٢_ انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، ص٢٤_٢٦.

١ــ **المجوس**: «الأصلية» قالوا بالأصلين: النور والظلمة، وقالوا: إن النور أزليٌّ، والظلمة محدثة.

٢ــ **الثنوية**: «أصحاب الاثنين الأزليّين»: الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس الذين قالوا بحدوث الظلام، لكن قالوا باختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والخبر، والمكان، والأجناس، والأبدان، والأرواح، ولم يقولوا بتماثلهما في الصفات والأفعال، كما ترى، وإن قالوا بتساويهما في القدم.

٣ــ **المانوية**: «أصحاب ماني بن فاتك»: قالوا: إن العَالَمَ مصنوع من أصلين قديمين، ولكن قالوا باختلافهما في النفس، والصورة، والفعل، والتدبير.

٤ــ **النصارى**: «القائلون بالتثليث»: فالنصارى لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضها عن بعض، بل هم متفقون على أنه صانع واحد يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، ويقولون: واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم.

أما الأقانيم فإنهم عجزوا عن تفسيرها.

وقولهم هذا متناقض أيما تناقض وتصوره كافٍ في رده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا قال طائفة من العقلاء:إن عامة مقالات الناس يمكن تصورُها إلا مقالة النصارى وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين ولهذا قال بعضهم: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا عن أحدَ عشرَ قولاً.

وقال آخر: لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال

الرجل قولاً، وامرأته قولاً آخر، وابنه قولاً ثالثاً»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله في معرض رده عليهم:«أما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمةً أشدَّ اختلافاً في معبودها منكم؛ فلو سألت الرجل، وامرأته، وابنته، وأمه، وأباه، عن دينهم لأجابك كلٌّ منهم بغير جواب الآخر»[٢].

بل قيل فيهم:«لو توجهت إلى أي نصراني على وجه الأرض، وطلبت منه أن يصور لك حقيقة دينه، وما يعتقده في طبيعة المسيح تصويراً دقيقاً _ لما استطاع ذلك»[٣].

هذا وقد بيَّن الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) ما عندهم من التناقض، وكذلك الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (محاضرات في النصرانية).

٥_ القدرية: هم في الحقيقة مشركون في الربوبية، وهذا لازم لمذهبهم؛ لأنهم يرون أن الإنسان خالقٌ لفعله، فهم أثبتوا لكل أحد من الناس خَلْقَ فعله.

والخلق إنما هو مما اختص الله به، قال _تعالى_:[وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ] (الصافات: ٩٦).

وأفعال العباد لا يخرجها شيء من عموم خلقه _عز وجل_[٤].

٦_ الفلاسفة الدهرية: في قولهم في حركة الأفلاك بأنها تسعة، وأن التاسع منها وهو الأطلس يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث، وزعموا أن الله

١_ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ١٥٥/٢.
٢_ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، ص٣٢١.
٣_ ما يجب أن يعرفه المسلم عن حقائق النصرانية والتبشير لإبراهيم الجبهان، ص١٣.
٤_ انظر مجموع الفتاوى٢٥٨/٨، والإيمان بالقضاء والقدر للكاتب ص١٧٣_١٧٤.

يحدث ما يقدره في الأرض.

٧_ عبدة الأصنام من مشركي العرب وغيرهم: ممن كانوا يعتقدون أن الأصنام تضر وتنفع، فيتقربون إليها، وينذرون لها، ويتبركون بها.

٨_ غلاة الصوفية: لغلوهم في الأولياء، وزعمِهم أنهم يضرون، وينفعون، ويتصرفون في الأكوان، ويعلمون الغيب، ولقولهم بوحدة الوجود، وربوبيةِ كلِّ شيءٍ[١].

٩_ الشيعة: لقولهم بأن الدنيا والآخرة للإمام، يتصرف بها كيف يشاء، وأن تراب الحسين شفاءٌ من كل داء، وأمانٌ من كل خوف، ولقولهم: إن أئمتهم يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بإذنهم.

وهذا باطل، وبطلانه لا يحتاج إلى دليل، بل إن فساده يغني عن إفساده[٢].

١٠_ النصيرية: لقولهم بألوهية علي بن أبي طالب ÷ وبأنه المتصرف بالكون، لوصفهم إياه بأوصاف لا يجوز أن يوصف بها أحد إلا الله _عز وجل_ مع اختلاف أقوالهم في هذا؛ فبعضهم يقول: إنه يسكن في الشمس ويُسَمَّون بـــ: الشمسية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في القمر، ويُسَمَّون بـــ: القمرية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في السحاب، ولذا إذا رأوا السحاب قالوا: السلام عليك يا أمير النحل[٣].

١_ انظر هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل، ص٣٥_٣٨ و١٣٣.

٢_ انظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب، تحقيق: محمد مال الله، ص٦٩، وانظر مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د.ناصر القفاري، ج١/٢٩٠، والشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير، ص٦٦.

٣_ انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د.محمد بن أحمد الخطيب، ص٣٤١، ودراسات في الفرق لصابر طعيمة، ص٤٢، والنصيرية، د.سهير الفيل،ص٩٣_١٠٣، والباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية لسليمان الأذني، ورسالة النصيرية في كتاب رسائل في الأديان والفرق والمذاهب للكاتب.

١١_ الدروز: لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي، وغلوهم فيه، ووصفِه بأوصافٍ لا تليق إلا بالله وحده، كقولهم عنه: «إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور»(١).

١٢_ من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب والأسماء: وذلك كحال الذين يتتبعون الأبراج ويقولون _رجماً بالغيب_ إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو الشهر الفلاني أو اليوم الفلاني، أو كان اسمه يبدأ بحرف كذا أو كذا _ فسيصيبه كذا وكذا، ويضعون عليها دعاياتٍ تقول: مِنْ شهر ميلادك تعرف حظك، أو من اسمك تعرف حظك.

كل ذلك شرك في الربوبية؛ لأنه ادعاءٌ لعلم الغيبِ، والغيبُ لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له.

١٣_ القانونيون: الذين يَصدون ويصدفون عن شرع الله، والذين يحكمون الناس بالقوانين الوضعية، التي هي من نحاتة أفكارهم، وزبالة أذهانهم.

فهؤلاء محاربون لله، منازعون له في ربوبيته وحكمه وشرعه (٢).

١_ انظر عقيدة الدروز، عرض ونقض د.محمد بن أحمد الخطيب، ص١١٧، وانظر الحركات الباطنية، ص٢٣٣_٢٣٨.

٢_ انظر رسالة تحكيم القوانين لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله .

منهج أهل السنة والجماعة فى أسماء الله وصفاته

منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة الذين هم الفرقة الناجية فى أسماء الله وصفاته اثباتها كما جاءت فى الكتاب والسنة مع اعتقاد مادلت عليه وأنها على ظاهرها ولايلزم من اثباتها تشبيه الله بخلقه تعالى لله عن ذلك، لأن صفات الخالق تخصه وتليق به، وصفات المخلوقين تليق بهم وتخصهم ولاتشابه بين الصفتين .

كما أنه لاتشابه بين ذات الخالق سبحانه وذات المخلوق، ومذهب أهل السنة والجماعة فى ذلك ينبنى على أسس سليمة وقواعد مستقيمة وهذه الأسس هى :

اولا : أن أسماء الله وصفاته توقيفية، بمعنى أنهم لايثبتون لله إلا ما اثبته الله لنفسه فى كتابه أو أثبته له رسوله فى سنته من الأسماء والصفات، ولا يثبتون شيئا بمقتضى عقولهم وتفكيرهم ولا ينفون عن الله إلا ما نفاه عن نفسه فى كتابه أو نفاه عنه رسوله فى سنته، لا ينفون عنه بموجب عقولهم وأفكارهم، فهم لا يتجاوزون الكتاب والسنة وما لم يصرح الكتاب والسنة بنفيه ولا إثباته كالعرض والجسم والجوهر، فهم يتوقفون فيه بناء على هذا الأصل العظيم .

ثانيا : أن ماوصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فهو حق على ظاهره، ليس فيه أحاج ولا ألغاز، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، فأهل السنة يثبتون ألفاظ الصفات ومعانيها، فليس ماوصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من المتشابه الذى يفوض معناه، لأن اعتبار نصوص الصفات مما لايفهم معناه يجعلها من الكلام الأعجمى الذى لايفهم، والله تعالى قد أمرنا بتدبر القرآن كله وحضنا على تعقله وتفهمه، وإذا كانت نصوص الصفات مما لايفهم معناه فيكون الله قد أمرنا بتدبر وتفهم ما لا يمكن تدبره وتفهمه وأمرنا باعتقاد مالم يوضحه لنا، تعالى الله عن ذلك، إذا فمعانى صفات الله تعالى معلومة يجب اعتقادها، وأما كيفيتها فهى مجهولة لنا لا يعلمها إلا الله تعالى . ولهذا يقول اللامام مالك ابن أنس رضى الله عنه لما سئل عن قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾(طه/ آية ٥) كيف استوى ؟

قال : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما قال الامام مالك فى الاستواء هو قاعدة فى جميع الصفات وهو قول أهل السنة والجماعة قاطبة، فمن نسب إلى السلف أنهم يفوضون معانى الأسماء والصفات ويجعلون نصوصها من المتشابه الذى استأثر الله بعلم معناه فقد كذب عليهم لأن كلامهم يخالف مايقوله هذا المفترى .

ثالثا : السلف يثبتون الصفات اثباتا بلا تمثيل فلا يمثلونها بصفات المخلوقين، لأن الله ليس كمثله شىء ولا كفء له، ولا ند له، ولا سمى له، ولأن تمثيل الصفات وتشبيهها بصفات المخلوقين ادعاء لمعرفة كيفيتها، وكيفيتها مجهولة لنا مثل كيفية الذات لأن العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، والله تعالى لا يعلم كيفية ذاته إلا هو، والكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات فكما أن لله ذاتا لاتشبه الذوات فكذلك له صفات لاتشبه الصفات ﴿**ليس كمثله شىء وهو السميع البصير**﴾(الشورى/ آية ١١) أى لا يشبهه أحد لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .

فيجب الايمان بما وصف الله به نفسه، لأنه لا أحد أعلم من الله بالله ﴿**أأنتم أعلم أم الله**﴾(البقرة/ آية ١٤٠) . فهو أعلم بنفسه وبغيره .

كما يجب الايمان بما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه لا أحد بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال الله فى حقه : ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى**﴾(النجم/ آية ٣) فيلزم كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وينزه ربه جل وعلا من أن تشبه صفته صفة الخلق .

فمن قدم بين يدى الله ورسوله وتجرأ على الله فنفى عنه ما أثبته لنفسه من الصفات العظيمة وما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا الذى وصفت به نفسك ووصفك به رسولك، لايليق بك وفيه من النقص كذا وكذا فأنا أؤله وألغيه وآتى ببدله من تلقاء نفسى، كما قال بعضهم :

وكل نص أوهم التشبيها　　　أوله أو فوض ورم تنزيها

فلا أرجع إلى كتابك ولا إلى سنة نبيك فى ذلك لأن ما فيهما يوهم التشبيه، وإنما أرجع إلى قواعد المتكلمين وأقاويل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتوريدية . فهل يكون يا عباد الله هذا مؤمنا بالله وبكتابه وسنة رسوله، وهل يكون هذا معظما لربه سبحانك هذا بهتان عظيم .

رابعا : وكما أن أهل السنة والجماعة يثبتون لله الصفات التى وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله على وجه يليق بجلاله ولا يشبهونه بخلقه فهم ينزهونه عن النقائص والعيوب تنزيها لايفضى بهم إلى التعطيل بتأويل معانيها أو تحريف ألفاظها عن مدلولها بحجة التنزيه، فمذهبهم فى ذلك وسط بين طرفى التشبيه والتعطيل تجنبوا التعطيل فى مقام التنزيه، وتجنبوا التشبيه فى مقام الاثبات .

خامسا : وطريقة أهل السنة والجماعة فيما يثبتون لله من الصفات وما ينفون عنه من النقص هى طريقة الكتاب والسنة وهى الاجمال فى النفى والتفصيل فى الاثبات، كما فى قوله تعالى : ﴿**ليس كمثله شىء وهو السميع البصير**﴾(الشورى/ ١١) .

فأجمل في النفى وهو قوله : ﴿**ليس كمثله شىء**﴾ وفصل فى الاثبات وهو قوله ﴿**وهو السميع البصير**﴾ .

وكل نفى فى صفات الله فإنه يتضمن إثبات الكمال وليس هو نفيا محضا لأن النفى المحض ليس فيه مدح ـ لأنه عدم محض والعدم ليس بشىء، ومن أمثلة النفى المتضمن لاثبات الكمال قوله تعالى : ﴿**ولا يظلم ربك أحدا**﴾(الكهف/ ٤٩) أى لكمال عدله سبحانه. وقوله : ﴿**ولا يئوده حفظهما**﴾ أى لكمال قدرته وقوته، وقوله : ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾ (البقرة ٢٥٥) أى لكمال حياته وقيوميته .

وهكذا كل نفى عن الله فإنه يتضمن إثبات ضد المنفى من الكمال والجلال .

هذا ونسأل الله البصيرة فى دينه والعمل بطاعته، ومعرفة الحق ، والعمل به .

منهج الجهمية وتلاميذهم فى أسماء الله وصفاته

يجب على المسلم إثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته على وفق ما جاء فى الكتاب والسنة لأن هذا يدخل فى باب الايمان بالله عز وجل، وهو مذهب أهل السنة والجماعة متخذين كتاب الله وسنة رسوله، الدليل والمرجع فى ذلك، عكس ما عليه الجهمية وتلاميذهم من المعتزلة والأشاعرة الذين ينفون ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات أو ينفون بعضا منها ويثبتون البعض الآخر تحكما منهم، ويجعلون مرجعهم فى ذلك ما قررته عقولهم القاصرة أو قرره لهم أئمة الضلال . وفرق بين من جعل دليله الكتاب والسنة ومن جعل دليله نحاتة الأفكار وزبالة الأذهان، كما يقوله واحد منهم :

وكل نص أوهم التشبيها .. أوله أو فوض ورم تنزيها

هذا تعاملهم مع نصوص الكتاب والسنة فى باب أسماء الله وصفاته، التأويل وهو صرف هذه النصوص عما دلت عليه من المعانى الجليلة إلى ماتقرره عقولهم من الأفكار العقيمة والآراء الباطلة، وما عجزت عنه عقولهم فوضوه واعتقدوا خلاف مايدل عليه، سبحانك ربى ما أعظم شأنك، وما أحلمك على عبادك، أنهم نفوا عنك ما أثبته لنفسك من صفات الكمال ونعوت الجلال وخالفوا كتابك وقدموا ما أملته عليهم عقولهم على ما أنزلته فى كتابك، نفوا عنك أسماءك وصفاتك، ونفوا عن كتابك حجيته وهدايته .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله فى هؤلاء ومن ظن أنه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل، وترك الحق لم يخبر به، وإنما رمز إليه رموزا بعيدة وأشار إليه إشارات ملغزة ولم يصرح به وصرح دائما بالتشبيه والتمثيل الباطل وأراد من خلقه أن يتعبوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم فى تحريف كلامه عن مواضعه وتأويله على غير تأويله ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة والتأويلات التى هى بالألغاز والأحاجى أشبه منها بالكشف والبيان، وأحالهم فى معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه، بل أراد منهم أن يحملوا كلامه على ما لا يعرفونه من خطابهم ولغتهم مع قدرته على أن

يصرح لهم بالحق الذى ينبغى التصريح به ويريحهم من الألفاظ التى توقعهم فى اعتقاد الباطل فلم يفعل، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان، فقد ظن به ظن السوء. فإنه إن قال أنه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذى عبر به هو وسلفه فقد ظن بقدرته العجز، وإن قال أنه قادر ولم يبين وعدل عن البيان وعن التصريح بالحق إلى مايوهم بل يوقع فى الباطل المحال والاعتقاد الفاسد فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء، ومن ظن أنه هو وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله وأن الهدى والحق فى كلامهم وعباراتهم، وأما كلام الله فإنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال، وظاهر كلام المتهوكين والحيارى هو الحق والهدى. فهذا من أسوأ الظن بالله إلى أن قال: ومن ظن أنه لا سمع له ولا بصر ولا علم ولا إرادة إلا كلام يقوم به، وأنه لا يكلم أحدا من الخلق ولا يتكلم أبدا ولا يقول ولا له أمر ولا نهى يقوم به فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به أنه ليس فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وأن نسبة ذاته إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل سافلين، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه . . . انتهى كلامه رحمه الله .

وهو يعنى به أولئك الذين نفوا ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ومعلوم أن من نفى عن الله صفات الكمال فقد أثبت له أضدادها من صفات النقص تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، ثم يلزم من هذا أن يكون هؤلاء الضلال أعلم بالله وما يستحقه من الله لأنهم نفوا عنه ما أثبته لنفسه وزعموا أنه لايليق به، وأى ضلال أعظم من هذا، وأى جرأة على الله أعظم من هذه الجرأة، ويلزم من ذلك أيضا أن يكونوا أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثبت لله هذه الصفات وهم نفوها وقالوا انها لا تليق بالله، وأى ضلال أعظم من هذا الضلال لو كانوا يعقلون، كيف يكون هؤلاء الجهال الضلال أعلم بالله من نفسه تعالى الله عما يقولون، والله تعالى يقول: ﴿**يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما**﴾(طه/ آية ١١٠) . ولا أحد من الخلق أعلم بالله وما يستحقه وما يليق به من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن الذى حمل الجهمية وأتباعهم على نفى صفات الله عز وجل هو جهلهم بالله وسوء أفهامهم حيث ظنوا أنه يلزم من إثبات هذه الصفات التى أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله يلزم منها التشبيه لأنهم يرون هذه

الصفات فى المخلوقين، ولا يفرقون بين صفات الخالق وصفات المخلوق، ولم يفهموا من صفات الخالق إلا ما فهموا من صفات المخلوقين، ولم يعلموا أن صفات الخالق سبحانه تخصه وتليق به ، وصفات المخلوقين تخصهم وتليق بهم ولا تشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوق، كما أنه لا تشابه بين ذات الخالق وذوات المخلوقين كما قال الله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾(الشورى/ آية ١١) فاثبت لنفسه السمع والبصر ونفى عنه مشابهة الأشياء، فدل ذلك على أن إثبات الصفات لا يلزم منه المشابهة بين الخالق والمخلوق .

وهذا هو الأصل الذى سار عليه أهل السنة والجماعة فى إثبات أسماء الله وصفاته أثبتوا له ما أثبته لنفسه بلا تمثيل، ونزهوه عما نزه نفسه عنه بلا تعطيل .

أما الجهمية وتلاميذهم من المعتزلة والأشاعرة فإنهم بنوا مذهبهم على أصل باطل أصلوه من عند أنفسهم وهو إن إثبات هذه الصفات يقتضى التشبيه فيلزم حيال النصوص الواردة بذلك أحد أمرين عندهم .

اما تأويلها عن ظاهرها .

واما تفويضها مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد ولهذا يقول ناظم عقيدتهم :

وكل نص أوهم التشبيها . . أوله أو فوض ورم تنزيها

سبحانك ربي عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبير .

وقد أجرى الله الحق على لسان هذا الناظم حيث قال : وكل نص أوهم التشبيه، فبين أن مذهبهم مبنى على الوهم لا على الحق، لأنهم توهموا أن هذه النصوص تقتضى التشبيه فراحوا يؤلونها ـ وهل الوهم يا عباد الله تعارض به النصوص وتبنى عليه عقيدة، أن الوهم أقل درجة من الظن والله تعالى يقول فى الظن : ﴿**وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا**﴾(النجم/ آية ٢٨) .

الرد على المنحرفين عن منهج السلف
فى أسماء الله وصفاته من المشبهة والمعطلة

المنحرفون عن منهج السلف فى أسماء الله وصفاته طائفتان، المشبهة والمعطلة .

١ ـ **فالمشبهة** ـ شبهوا الله بخلقه وجعلوا صفاته من جنس صفات المخلوقين ولذلك سموا بالمشبهة، وأول من قال هذه المقالة هو هشام بن الحكم الرافضى وبيان بن سمعان التميمى ـ الذى تنسب إليه البيانية من غالية الشيعة، فالمشبهة غلوا فى إثبات الصفات حتى أدخلوا فى ذلك مانفاه الله ورسوله مما لا يليق به سبحانه من صفات النقص، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، ومن هؤلاء هشام بن سالم الجواليقى، وداود الجواربى .

وقد نفى الله فى كتابه مشابهته لخلقه ونهى عن ضرب الأمثال له فقال تعالى ﴿**ليس كمثله شىء**﴾(الشورى/ آية ١١) ﴿**هل تعلم له سميا**﴾(مريم/ آية ٦٥) ﴿**ولم يكن له كفواً أحد**﴾(الاخلاص/ آية ٤) ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال**﴾(النحل/ آية ٧٤) فمن شبه صفات الله بصفات خلقه لم يكن عابدا الله فى الحقيقة، وإنما يعبد وثنا صوره له خياله ونحته له فكره، فهو من عباد الأوثان، لا من عباد الرحمن .

قال العلامة ابن القيم :

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا . . إن المشبه عابد الأوثان

ومن شبه صفات الله بصفات خلقه فهو مشابه للنصارى الذين يعبدون المسيح بن مريم عليه السلام .

يقول العلامة ابن القيم :

من مثل الله العظيم بخلقه . . فهو النسيب لمشرك نصرانى

وقال نعيم بن حماد شيخ البخارى رحمهما الله «من شبه الله بخلقه فقد كفر. ومن نفى ماوصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد كفر. وليس فيما وصف الله به نفسه أوصفه به رسوله تشبيه» .

٢ ـ **وأما المعطلة**، فهم الذين نفوا عن الله ماوصف به نفسه أو وصفه به رسوله من صفات الكمال ـ زاعمين أن اثباتها يقتضى التشبيه والتجسيم فهم على طرفى نقيض مع المشبهة .

ومذهب التعطيل مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصائبين وأول من حفظ عنه مقالة التعطيل فى الإسلام هو الجعد بن درهم فى أوائل المائة الثانية أخذ هذا المذهب الخبيث عن الجهم بن صفوان وأظهره وإليه نسبت الجهمية ثم انتقل هذا المذهب إلى المعتزلة والأشاعرة . وهذه أسانيد مذهبهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة وهم فى هذا التعطيل متفاوتون .

فالجهمية : ينفون الأسماء والصفات .
والمعتزلة : يثبتون الأسماء مجردة عن معانيها وينفون الصفات .
والأشاعرة : يثبتون الأسماء وسبع صفات فقط هى : العلم، والحياة، والقدرة، والارادة، والسمع، والبصر، والكلام، وينفون بقية الصفات .

وشبهة الجميع فيما نفوه من الصفات أن اثباتها يقتضى التشبيه والتجسيم بزعمهم لأنه لا يشاهد موصوف بها إلا هذه الأجسام والله ﴿**ليس كمثله شىء**﴾ (الشورى/ آية ١١) .

فتعين نفى الصفات وتعطيلها تنزيها لله عن التشبيه، بزعمهم، ولهذا يسمون من أثبتها مشبها، ووقفوا من النصوص الدالة على إثباتها موقفين :

الموقف الأول :

الايمان بألفاظها وتفويض معانيها، بأن يسكتوا عن تفسيرها ويفوضوه إلى الله مع نفى دلالتها على شىء من الصفات، وسموا هذه الطريقة طريقة السلف وقالوا هي الأسلم .

الموقف الثاني :

صرف هذه النصوص عن مدلولها إلى معان ابتدعوها، وهذا مايسمونه بطريقة التأويل، وسموه طريقة الخلف، وقالوا هى الأعلم والأحكم .

والرد على شبهتهم :

أن نقول : لا ريب أن التمثيل قد نطق القرآن الكريم بنفيه عن الله تعالى : كقوله تعالى : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾(الشورى/ آية ١١) وقوله : ﴿**هل تعلم له سميا**﴾(مريم/ آية ٦٥) وقوله : ﴿**ولم يكن له كفواً أحد**﴾(الاخلاص/ آية ٤) وقوله : ﴿**فلا تجعلوا لله أندادا**﴾(البقرة/ آية ٢٢) وقوله : ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال**﴾ لكن مع نفيه سبحانه عن نفسه مشابهة المخلوقين أثبت لنفسه صفات الكمال كما فى قوله تعالى : ﴿**ليس كمثله شىء وهو السميع البصير**﴾(الشورى/ آية ١١) .

فجمع في هذه الآية الكريمة بين نفى التشبيه عنه وأثبت لنفسه صفتى السمع والبصر، فدل على أن اثبات الصفات لا يقتضى التشبيه إذ لا تلازم بينهما، وهكذا فى كثير من آيات القرآن الكريم نجد إثبات الصفات مع نفى التشبيه جنبا إلى جنب، وهذا هو مذهب السلف الصالح يثبتون الصفات وينفون عنه التشبيه والتمثيل .

ومن زعم أن إثبات الصفات لايليق بالله لأنه يقتضى التشبيه فإنما جره إلى ذلك سوء فهمه حيث فهم أن إثبات الصفات يلزم منه التشبيه ، فأداه هذا الفهم الخاطىء إلى نفى ما أثبته الله عز وجل لنفسه ـ فكان هذا الجاهل مشبها أولا ومعطلا ثانيا ، وارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء ، ولو كان قلبه طاهرا من أقذار التشبيه لكان المتبادر عنده والسابق إلى فهمه أن صفات الله عز وجل بالغة من الكمال والجلال مايقطع أوهام علائق التشبيه والمشابهة بين صفات الخالق وصفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعدا للايمان بصفات الله على وجه يليق به مع تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين، أما من توهم أن صفات الله تشبه صفات المخلوقين فإنه لم يعرف الله حق معرفته ولم يقدره حق قدره ، ولهذا وقع فيما وقع فيه من ورطة التعطيل ، وصار يسمى من أثبت لله صفات الكمال ونزهه عن صفات النقص على مقتضى الكتاب والسنة صار يسميه مشبها ومجسما نظرا لما قام بقلبه من توهم أن صفات الله تشبه صفات خلقه ، ولم يدر أن هذا الوصف أليق به ، فهو الذى شبه أولا ، ثم عطل ثانيا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال إمام الأئمة وناصر السنة أبوبكر محمد بن خزيمة رحمه الله فى الرد على الجهمية

وتلاميذهم ممن زعم أن اثبات الصفات لله عز وجل يقتضى التشبيه. وننقل كلامه مختصرا فى هذا الموضوع :

قال رحمه الله : وزعمت الجهمية، عليهم لعائن الله، أن أهل السنة ومتبعى الآثار القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، المثبتين لله عز وجل من صفاته ماوصف الله به نفسه فى محكم تنزيله المثبت بين الدفتين، وعلى لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بنقل العدل عن العدل موصولا إليه مشبهة[1] جهلا منهم بكتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وقلة معرفتهم بلغة الذين بلغتهم خوطبنا. إلى أن قال: نحن نقول وعلماؤنا جميعا من جميع الأقطار : إن لمعبودنا عز وجل وجها كما أعلمنا الله فى محكم تنزيله، فَزَوَّاه بالجلال والاكرام وحكم له بالبقاء ونفى عنه الهلاك، ونقول أن لوجه ربنا عز وجل من النور والضياء والبهاء ما لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه بصره. . . ونقول أن لبنى آدم وجوها كتب الله عليها الهلاك .

ونقول: أن أوجه بنى آدم محدثة مخلوقه لم تكن فكونها الله بعد أن لم تكن مخلوقة، أوجدها بعدما كانت عدما، وأن جميع وجوه بنى آدم فانية غير باقية تصير جميعا ميتا ثم رميما، ثم ينشئها الله بعدما صارت رميما، ثم تصير إما إلى جنة منعمة فيها أو إلى النار معذبة فيها .

فهل يخطر ياذوى الحجا ببال عاقل مركب فيه العقل يفهم لغة العرب ويعرف خطابها ويعلم التشبيه أن هذا الوجه شبيه بذاك الوجه وهل ههنا أيها العقلاء تشبيه وجه ربنا جل ثناؤه الذى هو كما وصفنا وبينا صفته من الكتاب والسنة بتشبيه وجوه بنى آدم التى ذكرناها ووصفناها. . . ولو كان تشبيها من علمائنا لكان كل قائل أن لبنى آدم وجها، وللخنازير والقردة والسباع والحمير والبغال والحياة والعقارب وجوها قد شبه وجوه بنى آدم.بوجوه الخنازير والقردة والكلاب وغيرها مما ذكرت، ولست أحسب أن أعقل الجهمية المعطلة عند نفسه لو قال له أكرم الناس عليه وجهك يشبه وجه الخنزير والقرد والكلب والحمار والبغل ونحو هذا الا غضب. إلى أن قال رحمه الله فإذا كان ماذكرنا على ماوصفنا ثبت عند العقلاء وأهل التمييز أن من رمى أهل الآثار القائلين بكتاب ربهم

(١) هذا خبر أن التى تقدمت فى قوله : أن أهل السنة . . . الخ .

وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم بالتشبيه فقد قال الباطل والكذب والزور والبهتان، وخالف الكتاب والسنة وخرج عن لسان العرب . . . إلى أن قال رحمه الله :

والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله وصف بها نفسه فى محكم تنزيله أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لجهلهم بالعلم، وذلك أنهم وجدوا فى القرآن أن الله قد أوقع أسماء من أسماء صفاته على بعض خلقه فتوهموا لجهلهم بالعلم أن من وصف الله بتلك الصفة التى وصف الله بها نفسه قد شبهه بخلقه .

فاسمعوا ياذوى الحجا ما أبين من جهل هؤلاء المعطلة : أقول : وجدت الله وصف نفسه فى غير موضع من كتابه فأعلم عباده المؤمنين أنه سميع بصير، فقال: ﴿**وهو السميع البصير**﴾(الشورى/ آية ١١) وذكر عز وجل الإنسان فقال: ﴿**فجعلناه سميعا بصيرا**﴾(الانسان/ آية ٢) وأعلمنا جل وعلا أنه يرى فقال: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾(التوبة/ آية ١٠٥) وقال لموسى وهارون عليهما السلام : (اننى معكما أسمع وأرى) فأعلم عز وجل أنه يرى أعمال بنى آدم، وأن رسوله وهو بشر يرى أعمالهم أيضا، وقال: ﴿**ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء**﴾(النحل/ آية ٧٩) وبنو آدم يرون أيضا الطير مسخرات فى جو السماء، وقال عز وجل ﴿**واصنع الفلك بأعيننا**﴾(هود/ آية ٣٧) وقال: ﴿**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**﴾(الطور/ آية ٤٨) فثبت ربنا لنفسه عينا وثبت لبنى آدم أعينا فقال: ﴿**ترى أعينهم تفيض من الدمع**﴾(المائدة/ آية ٨٣) فقد أخبرنا ربنا أن له عينا وأن لبنى آدم أعينا وقال لابليس لعنه الله ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى**﴾(ص/ آية ٧٥) وقال: ﴿**بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**﴾(المائدة/ آية ٦٤) فثبت ربنا جل وعلا لنفسه يدين وخبرنا أن لبنى آدم يدين.

أفيلزم عند هؤلاء الفسقة أن من يثبت ماثبته الله فى هذه، أن يكون مشبها خالقه بخلقه حاش لله أن يكون هذا تشبيها كما ادعوا لجهلهم بالعلم . . . انتهى كلامه .

هذا مما رد به إمام الأئمة محمد بن خزيمة على الجهمية وتلاميذهم وهو رد مفحم لايستطيعون الاجابة عنه، وقد رد عليهم أيضا كبار الأئمة من أمثال الإمام أحمد وشيخ

الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم، ولاتزال ردودهم والحمد الله بأيدى أهل السنة والجماعة، ونسوق من ذلك نموذجا من رد شيخ الإسلام ابن تيمية على طائفة من هؤلاء زعمت أن النصوص التى وردت فى الكتاب والسنة فى صفات الله عز وجل هى من قبيل المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ولا يعلم معناه إلا هو - فهذه النصوص بزعمهم ليست على ظاهرها لأن ظاهرها عندهم التشبيه، بل لها معنى لا يعلمه إلا الله فيفوضون معناها إلى الله ويزعمون أن هذه طريقة السلف. وقد كذبوا على السلف ونسبوا اليهم ماهم براء منه، لأن عقيدة السلف إثبات صفات الله عز وجل كما دل عليها الكتاب العزيز والسنة النبوية، وأنها على ظاهرها ويفسرون معناها على مايليق بجلال الله ولا يفوضونها، بل وهى عندهم من المحكم لا من المتشابه .

قال رحمه الله: وأما على قول أكابرهم - يعنى نفات الصفات - أن معانى هذه النصوص لا يعلمه إلا الله، وأن معناها الذى أراده الله بها هو ما يوجب صرفها عن ظواهرها، فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معانى ماأنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا الملائكة ولا السابقون الأولون وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه فى القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاما لا يعقلون معناه، إلى أن قال رحمه الله: ومعلوم أن هذا قدح فى القرآن والأنبياء إذا كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبيانا للناس وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين وأن يبين للناس مانزل اليهم وأمر بتدبر القرآن وعقله. ومع هذا فأشرف مافيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته أو عن كونه خالقا لكل شىء وهو بكل شىء عليم أو عن كونه أمر ونهى ووعد وتوعد أو ما أخبر به عن اليوم الآخر لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل ولا يتدبر ولا يكون الرسول بين للناس مانزل اليهم ولا بلغ البلاغ المبين، وقال رحمه الله نافيا هذا القول عن السلف: وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك فى المتشابه الذى استأثر الله بعلم تأويله فنقول ما الدليل على ذلك، فانى ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة ولا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل فى هذه الآية، يعنى قوله تعالى: **﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات﴾**(آل عمران/ آية ٧) الآية .

ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذى لايفهم، وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة، قالوا فى أحاديث الصفات تمر كما جاءت، ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التى مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه، ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة فى أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على مادلت عليه من معناها، فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا وأن لايسكت عن بيانه وتفسيره، بل يبين ويفسر باتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه أو الحاد فى أسماء الله وآياته .

هذا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وحكاه عن الائمة والسلف، أنهم لا يجعلون نصوص الصفات من المتشابه الذى لايفهم معناه ويجب تفويضه، بل كانوا يعلمون معانى هذه النصوص ويفسرونها. وإنما يفوضون علم كيفيتها إلى الله عز وجل. كما قال الإمام مالك وغيره : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)

قال الإمام ابن كثير رحمه الله :

وأما قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾(الاعراف/ آية ٥٤ يونس/ آية ٣) فللناس فى هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك فى هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعى والثورى والليث بن سعد والشافعى وأحمد وإسحاق بن راهوية وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل .

والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفى عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾(الشورى/ آية ١١).

بل الأمر كما قال الأئمة: منهم نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى قال: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ماوصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله ماوردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذى يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى . . . انتهى .

هذا مذهب السلف في أسماء الله وصفاته وهو اثباتها كما جاءت في الكتاب والسنة من غير تشبيه لها بصفات المخلوقين، ومن غير تعطيل ونفى لها بل اثبات بلا تشبيه، وتنزيه لله بلا تعطيل، على حد قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾(الشورى/ آية ١١) فمن نسب إلى السلف أن مذهبهم التفويض فقد كذب وافترى عليهم ورماهم بما هم بريئون منه .

نسأل الله العفو والعافية.

الأصل الثاني[1]
وجوب الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة هو أحد أركان الإيمان الستة كما جاء في حديث جبريل حيث قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) وقد جاء ذكر الإيمان بالملائكة مقروناً بالإيمان بالله في كثير من الآيات القرآنية، كما قال تعالى: ﴿**كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**﴾ (البقرة/٢٨٥). وكما في قوله تعالى: ﴿**ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين**﴾ (البقرة/١٧٧).

والإيمان بالملائكة يتضمن التصديق بوجودهم وأنهم عباد مكرمون خلقهم الله لعبادته وتنفيذ أوامره والإيمان بأصنافهم وأوصافهم وأعمالهم التي يقومون بها حسبما ورد في الكتاب والسنة، والإيمان بفضلهم ومكانتهم عند الله عز وجل، وقد ورد في صحيح مسلم أن الله خلقهم من نور ومما يدل على فضلهم وشرفهم أن الله يضيفهم إليه إضافة تشريف كقوله: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي**﴾ (الأحزاب / ٥٦). وقوله: ﴿**كل آمن بالله وملائكته**﴾ (البقرة / ٢٨٥). وقوله: ﴿**ومن يكفر بالله وملائكته**﴾ (النساء / ١٣٦) . وقوله: ﴿ **من كان عدواً لله وملائكته** ﴾ (البقرة/ ٩٨) . ويقرن سبحانه شهادتهم مع شهادته وصلاتهم مع صلاته كقوله تعالى: ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة** ﴾ (آل عمران / ١٨) . وقوله: ﴿ **إن الله وملائكته يصلون**

(١) الأصل الأول تقدم في صفحة (١٦).

المصادفة يؤدى إلى ظهور الحياة بلا تدبير من خالق مدبر، ولا حكمة، وهذا قول باطل ترده العقول والفطر، فإنك إذا نظرت إلى هذا الكون المنظم بأفلاكه وأرضه وسمائه وسير المخلوقات فيه بهذه الدقة والتنظيم العجيب تبين لك أنه لا يمكن أن يصدر إلا عن خالق حكيم.

قال ابن القيم: فسل المعطل الجاحد: ماذا تقول في دولاب دائر على نهر وقد أحكمت آلاته وأحكم تركيبه، وقدرت أدواته أحسن تقدير وأبلغه، بحيث لا يرى الناظر فيه خللا فى مادته ولا في صورته، وقد جعل على حديقة عظيمة فيها من كل أنواع الثمار والزروع يسقيها حاجتها وفي تلك الحديقة من يلم شعثها ويحسن مراعاتها وتعهدها والقيام بجميع مصالحها فلا يختل منها شيء ثم يقسم قيمتها عند الجذاذ على أحسن المخارج بحسب حاجتهم وضروراتهم، فيقسم لكل صنف منهم ما يليق به، ويقسمه هكذا على الدوام، أترى هذا اتفاقا بلا صانع ولا مختار ولا مدبر، بل اتفق وجود ذلك الدولاب والحديقة وكل ذلك اتفاقا من غير فاعل ولا قيم ولا مدبر أفترى ما يقول لك عقلك في ذلك لو كان؟ وما الذي يفتيك به وما الذى يرشدك إليه، ولكن من حكمة العزيز الحكيم أن خلق قلوبا عميا لا بصائر لها فلا ترى هذه الآيات الباهرة إلا رؤية الحيوانات البهيمية كما خلق أعينا لا ابصار لها، انتهى كلامه رحمه الله.

٢ ـ توحيد الألوهية :

توحيد الألوهية : هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، فالألوهية معناها العبادة، والاله معناه المعبود، ولهذا يسمى هذا النوع من التوحيد بتوحيد العبادة.

والعبادة في اللغة: الذل، يقال طريق معبد، إذا كان مذللا قد وطئته الاقدام.

وأما معنى العبادة شرعا: فقد أختلفت عبارات العلماء في ذلك مع اتفاقهم على المعنى، فعرفها طائفة منهم بأنها: ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفى ولا اقتضاء عقلى، وعرفها بعضهم بأنها كمال الحب مع كمال[1] الخضوع، وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية

(١) قال الامام ابن القيم رحمه الله :

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ... مادار حتى قامت القطبان

رحمه الله : بأنها أسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة وهذا التعريف أدق وأشمل

فالدين كله داخل في العبادة ، ومن عرفها بالحب مع الخضوع ، فلأن الحب التام مع الذل التام يتضمنان طاعة المحبوب والانقياد له ، فالعبد هو الذى ذلله الحب والخضوع لمحبوبه فبحسب محبة العبد لربه وذله له تكون طاعته ، فمحبة العبد لربه وذله له يتضمنان عبادته له وحده لا شريك له .

فالعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، وهى تتضمن ثلاثة أركان : هى «المحبة والرجاء والخوف» ولابد من اجتماعها ، فمن تعلق بواحد منها فقط لم يكن عابدا لله تمام العبادة .

فعبادة الله بالحب فقط هي طريقة الصوفية ، وعبادته بالرجاء وحده طريقة المرجئة وعبادته بالخوف فقط طريقة الخوارج ، والمحبة المنفردة عن الخضوع لا تكون عبادة . فمن أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا كما يحب الانسان ولده وصديقه ، كما أن الخضوع المنفرد عن المحبة لا يكون عبادة كمن يخضع لسلطان أو ظالم اتقاء لشره ، ولهذا لا يكفى أحدهما عن الآخر في عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء .

والعبادة هى الغاية المحبوبة لله والمرضية له ، وهى التى خلق الخلق من أجلها كما قال تعالى : **﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾** وبها أرسل جميع الرسل ، كما قال تعالى : **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾** (النحل/ آية ٣٦) .

والعبادة لها أنواع كثيرة :

فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والاحسان إلى الحيوان والأيتام والمساكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة كل ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله وحب رسوله ، وخشية

الله والانابة إليه ، كل ذلك من العبادة ، وكذلك الذبح والنذر والاستعاذة والاستعانة والإستغاثة ، فيجب صرف العبادة بجميع أنواعها لله وحده لاشريك له ، فمن صرف منها شيئا لغير الله كمن دعا غير الله أو ذبح أو نذر لغير الله أو استعان أو استغاث بميت أو غائب أو بحي حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك الشرك الأكبر، وأذنب الذنب الذى لا يغفر إلا بالتوبة ، سواء صرف هذا النوع من العبادة لصنم أو لشجر أو لحجر، أو لنبى من الأنبياء أو لولي من الأولياء حي أو ميت كما يفعل اليوم عند الاضرحة المبنية على القبور، فإن الله لا يرضي أن يشرك معه في عبادته أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ولا غيرهم . قال تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾** وقال تعالى : **﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾** وقال تعالى : **﴿ولا تشركوا به شيئا﴾** .

ومع الأسف الشديد فقد أتخذت القبور اليوم في بعض البلاد أوثانا تعبد من دون الله ممن يدعون الإسلام ، وقد يدعو أحدهم غير الله في أي مكان ولو لم يكن عند قبر، كمن يقول يارسول الله عند قيامه أو مفاجأته بشيء غريب ، أو يقول المدد يارسول الله أو يافلان ، وإذا نهوا عن ذلك قالوا نحن نعلم أن هؤلاء ليس لهم من الأمر شيء ، ولكن هؤلاء أناس صالحون لهم جاه عند الله ونحن نطلب بجاههم وشفاعتهم ، ونسي هؤلاء أو تناسوا وهم يقرءون القرآن ، أن هذا بعينه قول المشركين ، كما ذكره الله في القرآن في قوله تعالى : **﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾**(يونس/ آية ١٨) وقوله تعالى : **﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار﴾**(الزمر/ آية ٣) فسماهم كفارا كذبة وهم يعتقدون أن هؤلاء الأولياء مجرد وسائط بينهم وبين الله في قضاء حوائجهم وهذا ما يقوله عباد القبور اليوم (تشابهت قلوبهم) فالواجب على علماء الإسلام أن ينكروا هذا الشرك الشنيع ويبينوه للناس ، والواجب على حكام المسلمين هدم هذه الأوثان وتطهير المساجد منها ، وقد أنكر كثير من الأئمة المصلحين هذا الشرك ونهوا عنه وحذروا وأنذروا ، ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، والشيخ محمد بن عبدالوهاب ، والشيخ محمد

ابن إسماعيل الصنعانى ، والشيخ محمد بن على الشوكاني ، وكثير من الأئمة قديما وحديثا وهذه مؤلفاتهم بين أيدينا ، وفي ذلك يقول الإمام الشوكانى في نيل الأوطار : وكم سرى من تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكى لها الإسلام ، منها اعتقاد الجهلة كاعتقاد الكفار للأصنام وأعظم من ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب ، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم ، وشدوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا ، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع ، لانجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالما ولا متعلما ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا ، ولقد توارد إلينا من الأخبار مالا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرا ، وإذا قيل له بعد ذلك : أحلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق ، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال : أنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة ، فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين أى رزء للإسلام أشد من الكفر ، وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ، وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ، وأى منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبا .

لقد أسمعت لو ناديت حيا ∴ ولكن لا حياة لمن تنادى
ولو نارا نفخت بها أضاءت ∴ ولكن أنت تنفخ فى رماد

انتهى كلام الشوكاني رحمه الله . وقد زاد البلاء بعده وصار أشد مما وصف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

علاقة توحيد الالهية بتوحيد الربوبية والعكس :

وعلاقة أحد النوعين بالآخر ، أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الالهية ، بمعنى أن الاقرار بتوحيد الربوبية يوجب الاقرار بتوحيد الالهية ، والقيام به فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره وجب عليه أن يعبده وحده لاشريك له ، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمن توحيد الألوهية ، فمن عبدالله

وحده ولم يشرك به شيئا فلابد أن يكون قد أعتقد أنه هو ربه وخالقه كما قال ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾(الشعراء/ آية ٧٥-٨٢) .

والربوبية والألوهية تارة يذكران معا فيفترقان فى المعنى ويكون أحدهما قسيما للآخر - كما قال فى قوله تعالى : ﴿قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس﴾ فيكون معنى الرب هو المالك المتصرف فى الخلق ويكون معنى الاله أنه المعبود بحق المستحق للعبادة وحده ، وتارة يذكر أحدهما مفردا عن الآخر فيجتمعان في المعنى ، كما في قول الملكين للميت في القبر: من ربك ، ومعناه من الـهك وخالقك ، وكما في قوله تعال : ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾(الحج / آية ٤٠) وقوله تعالى : ﴿قل أغير الله أبغى ربا﴾ وقوله : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ .

فالربوبية في هذه الآيات هي الألهية ، والذى دعت إليه الرسل من النوعين هو توحيد الألوهية ، لأن توحيد الربوبية يقربه جمهور الأمم ولم ينكره إلا شواذ من الخليقة . أنكروه في الـظاهـر فقط . والاقـرار به وحـده لايكفى ، فقـد أقـر به ابليس ﴿قـال رب بما أغويتنى﴾ (الحجر/ آية ٣٩) وأقر به المشركون الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دلت على ذلك الآيات البينات ، كما قال تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾(الزخرف/ آية ٨٧) فمن أقر بتوحيد الربوبية فقط لم يكن مسلما ولم يحرم دمه ولا ماله حتى يقر بتوحيد الألوهية فلا يعبد إلا الله ، وبهذا يتبين بطلان مايزعمه علماء الكلام والصوفية أن التوحيد المطلوب من العباد هو الأقرار بأن الله هو الخالق المدبر، ومن أقـر بذلك صار عندهم مسلما، ولهذا يعرفون التوحيد في الكتب التى ألفوها في العقائد بما ينطبق على توحيد الربوبية فقط حيث يقولون مثلا : التوحيد هو الاقرار بوجود الله وأنه الخالق الرازق. . . الخ . ثم يوردون أدلة توحيد الربوبية ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع ، فيقولون : هو واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد

في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لاشريك له، وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث، وهو توحيد الأفعال، وهو أن خالق العالم واحد، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا: لا اله إلا الله حتى يجعلوا معنى الألوهية القدرة على الاختراع، ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أولا لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتى أنهم كانوا يقرون بالقدر أيضا، وهم مع هذا مشركون. . .

هذا كلام الشيخ رحمه الله وهو واضح في الرد على من اعتقد أن التوحيد المطلوب من الخلق هو الاقرار بتوحيد الربوبية ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾(النحل/ آية ٣٦) فالرسل لم يقولوا لأممهم أقروا أن الله هو الخالق، لأنهم مقرون بهذا، وإنما قالوا لهم (اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا: التوحيد الذى جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الالهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا الله لا يعبد إلا اياه، إلى أن قال: وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد، وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه، فقد فنوا في غاية التوحيد.

فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ونزهه عن كل ما ينزه عنه وأقر بأنه وحده خالق كل شىء لم يكن موحدا، حتى يشهد أن لا اله إلا الله وحده، فيقر بأن الله وحده هو الاله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لاشريك له، والاله ـ هو المألوه المعبود الذى يستحق العبادة، وليس الاله بمعنى القادر على الاختراع، فإذا فسر اللاله بمعنى القادر على الاختراع وأعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الاله، وجعل اثبات هذا هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمه الصفاتية، وهو الذى يقولونه عن ابى الحسن وأتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذى بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم.

فان مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده، خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين، قال تعالى : ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾(يوسف/ آية ١٠٦) قال طائفة من السلف تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله، وهم مع هذا يعبدون غيره .

قال تعالى: ﴿**قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل أفلا تذكرون - قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون لله، قل أفلا تتقون، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون، سيقولون لله، قل فأنى تسحرون**﴾(المؤمنون/ آية ٨٤ - ٨٩)فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابدا له دون ما سواه، داعيا له دون ما سواه، يوالى فيه ويعادى فيه ويطيع رسله . . .

وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا له أندادا، إلى أن قال رحمه الله : ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويصوم وينسك لها ويتقرب إليها ثم يقول: إن هذا ليس بشرك، إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي، فإذا جعلتها سببا وواسطة لم أكن مشركا ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك. . . انتهى كلامه .

قلت : وهذا ما يقوله عباد القبور اليوم يتقربون إليها بأنواع العبادة، ويقولون هذا ليس بشرك لأننا لا نعتقد فيها أنها تخلق وتدبر وإنما جعلناها وسائط نتوسل بأصحابها . . .

أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الالهية

لما كان توحيد الربوبية قد أقر به الناس بموجب فطرهم ونظرهم في الكون وكان الاقرار به وحده لا يكفى للايمان بالله ولا ينجى صاحبه من العذاب، ركزت دعوات الرسل على توحيد الالهية خصوصا دعوة خاتم الرسل نبينا محمد عليه وعليهم أفضل السلام فكان يطالب الناس بقول لا اله إلا الله المتضمنة لعبادة الله وترك عبادة ماسواه فكانوا ينفرون منه ويقولون: (أجعل الالهة إلها واحدا ان هذا لشىء عجاب) وحاولوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يترك هذه الدعوة ويخلى بينهم وبين عبادة الأصنام ويذلوا في ذلك معه كل الوسائل بالترغيب تارة وبالترهيب تارة وهو عليه الصلاة والسلام يقول: (والله لو وضعوا الشمس بيمينى والقمر بشمالى على أن أترك هذا الأمر لا أتركه حتى يظهره الله أو أهلك دونه) وكانت آيات الله تتنزل عليه بالدعوة إلى هذا التوحيد والرد على شبهات المشركين، واقامة البراهين على بطلان ماهم عليه، وقد تنوعت أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الالهية .

وها نحن نذكر جملة منها: فمن ذلك :-

١) - أمره سبحانه بعبادته وترك عبادة ماسواه كما في قوله تعالى: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا**﴾(النساء/ آية ٣٦) وقوله: ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم**﴾(البقرة/ آية ٢١) إلى قوله ﴿**فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون**﴾ .

٢) - ومنها اخباره سبحانه أنه خلق الخلق لعبادته كما في قوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون**﴾(الذاريات/ آية ٥٦) .

٣) - ومنها: اخباره أنه أرسل جميع الرسل بالدعوة إلى عبادته والنهى عن عبادة ما سواه كقوله تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾(النحل/ آية ٣٦) .

٤) - ومنها الاستدلال على توحيد الالهية بانفراده بالربوبية والخلق والتدبر كما في قوله سبحانه ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من**

قبلكم﴾، (البقرة/ آية ٢١) وقوله ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن﴾. (فصلت/آية٣٧) وقوله : ﴿أفمن يخلق كمن لايخلق﴾ (النحل/آية١٧) .

٥) - ومنها الاستدلال على وجوب عبادته سبحانه بانفراده بصفات الكمال وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين كما في قوله تعالى: ﴿فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا﴾(مريم/ آية ٦٥)وقوله ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾(الأعراف/ آية ١٨٠) وقوله عن خليله ابراهيم عليه السلام أنه قال لأبيه : ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا﴾(مريم/ آية ٤٢)وقوله : ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم﴾، (فاطر/ آية ١٤) وقوله : ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا﴾(الاعراف/ آية ١٤٨) .

٦) - ومنها : تعجيزه لآلهة المشركين كقوله تعالى: ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون، ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون﴾ (الأعراف/ آية ١٩١-١٩٢) وقوله تعالى: ﴿قل أدعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾(الاسراء/ آية ٥٦) وقوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون﴾(النحل/ آية ٧٣) وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾(الحج/ آية ٧٣) .

٧) - ومنها : تسفيه المشركين الذين يعبدون غير الله كقوله تعالى: ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ (الأنبياء/آية ٦٦-٦٧) وقوله تعالى : ﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾(الأحقاف/ آية ٥) .

٨) - ومنها : بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله، وبيان مثآلهم مع من عبد وهم حيث تتبرأ منهم تلك المعبودات في أحرج المواقف كما في قوله تعالى: ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب، إذ تبرأ

الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾(البقرة/ آية ١٦٥ ـ ١٦٧)

وقوله تعالى : **﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾**(فاطر/ آية ١٤) .

وقوله : **﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾** (الأحقاف/ آية٥ـ٦) وقوله تعالى : **﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾**(سبأ/آية٤٠ـ٤١) وقوله تعالى : **﴿وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لي بحق﴾** (المائدة/ آية ١١٦) .

٩) ـ ومنها رده سبحانه على المشركين في اتخاذهم الوسائط بينهم وبين الله بأن الشفاعة ملك له سبحانه لاتطلب إلا منه ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه بعد رضاه عن المشفوع له ـ قال سبحانه : **﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يمكلون شيئا ولا يعقلون، قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض﴾**(الزمر/آية ٤٣ـ٤٤) .

وقوله سبحانه : **﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه﴾**، (البقرة/ آية ٢٥٥) وقوله : **﴿وكم من ملك في السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾**(النجم/ آية ٢٦) فبين سبحانه في هذه الآيات أن الشفاعة ملكه وحده لا تطلب إلا منه ولا تحصل إلا بعد اذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له .

١٠) ـ ومنها : أنه بين سبحانه أن هؤلاء المعبودين من دونه لايحصل منهم نفع لمن عبدهم من جميع الوجوه، ومن هذا شأنه لايصلح للعبادة كما في قوله تعالى:

﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾(سبأ/ آية ٢٢) .

١١) ـ ومنها : أنه سبحانه ضرب أمثلة كثيرة في القرآن يتضح بها بطلان الشرك من ذلك قوله سبحانه : ﴿**ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق**﴾ (الحج/ آية ٣١)شبه سبحانه التوحيد في علوه و ارتفـاعه وسعته وشرفه بالسماء. وشبه تارك التوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين لأنه سقط من أوج الايمان إلى حضيض الكفر، وشبه الشياطين التى تقلقه بالطير التى تمزق أعضاءه، وشبه هواه الذى يبعده عن الحق بالريح التى ترمى به في مكان بعيد، هذا مثال واحد من أمثلة كثيرة في القرآن ذكرها الله سبحانه لبيان بطلان الشرك وخسارة المشرك فى الدنيا والآخرة، وما سقناه في هذا الدرس من أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الالهية وإبطال الشرك قليل من كثير وما على المسلم إلا أن يقرأ القرآن بتدبر ليجد الخير الكثير والأدلة المقنعة والبراهين الساطعة التى ترسخ عقيدة التوحيد في قلب المؤمن وتقتلع منه كل شبهة . . .

حدوث الشرك في توحيد الألوهية

مطلوب من المسلم بعدما يعرف الحق أن يعرف ما يضاده من الباطل ليجتنبه، كما يقال :

عرفـــت الـشــر لا للشـــ ∴ ـــر لكــن لتــوقيــــــه

وكان حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يقول : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخيروكنت أسأله عن الشر مخافـة أن أقع فيه، ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخـطاب رضي الله عنـه : يوشك أن تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية، وقبل ذلك قال الخليل عليه الصلاة والسلام : ﴿**رب اجعـل هذا البلد آمنـا واجنبنى وبني أن نعبـد الأصنام، رب انهن أضللن كثيرا من الناس**﴾ . (ابراهيم/ آية ٣٥) فهذا مما يوجب شدة الخوف من الشرك ومعرفته ليجتنبه المسلم .

ما يضاد توحيد الألوهية من الشرك

أولاً: تعريف الشرك: هو أن يشرك مع الله غيره في حق من حقوقه.

أو هو أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو أن يُعظَّم كما يعظم الله، أو أن يُصرَف له نوع من أنواع الألوهية أو الربوبية.

ثانياً: أقسام الشرك: ١ــ شرك أكبر. ٢ــ شرك أصغر.

ثالثاً: تعريف الشرك الأكبر: هو اتخاذ العبد نداً من دون الله يسوِّيه بربِّ العالمين.

رابعاً: تعريف الشرك الأصغر: ما أتى في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر.

أو هو الذرائع والوسائل الموصِّلة للشرك الأكبر.

خامساً: أمثلة للشرك الأكبر:

١ــ الذبح لغير الله.

٢ــ النذر لغير الله.

٣ــ الطواف بالقبور، ودعاء أهلها من دون الله.

٤ــ دعاء الأموات والغائبين كما يُدعى الله ــعز وجلــ.

٥ــ محبة غــير الله كحبِّ الله.

٦ــ الخوف من غير الله كالخوف من الله.

٧ــ الاستعاذة والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٨ــ جعل العبد وسائط بينه وبين الله يدعوهم، ويتوكل عليهم.

سادساً: أمثلة للشرك الأصغر:

١ــ الحلف بغير الله، قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**».

٢ــ تعظيم المخلوق تعظيمًا لا يبلغ رتبة العبادة، ومنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت فقال له النبي ﷺ: «**أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده**».

٣ــ تعليق التمائم بزعم أنها تدفع العين ونحو ذلك، قال ﷺ: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**».

٤ــ الصلاة لله عند القبور.

٥ــ الرياء، قال ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء**».

سابعاً: الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر: هناك فروق عديدة منها:

١ــ يختلفان في التعريف كما مرَّ.

٢ــ الشرك الأكبر محكوم على صاحبه بالخروج من الملة، والتخليد في النار، أما الأصغر فبخلاف ذلك.

٣ــ الأكبر يحبط جميع الأعمال، والأصغر يحبط العمل الذي قارنه.

٤ــ الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة، أما الأصغر ففيه خلاف، والصحيح ــوالله أعلمــ أنه تحت المشيئة.

ثامناً: ضوابط في تمييز الشرك الأصغر من الأكبر:

١ــ صريح النص كقوله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**».

٢ــ أن يأتي منكَّراً: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**».

٣ــ ما يفهمه الصحابة من النص أنه أصغر؛ فهم أعلم الناس بمعاني نصوص الكتاب والسنة.

الفصـــل الأول

تعريف البدعة ـ أنواعها وأحكامها

١ ـ تعـريفها ـ البدعة في اللغة مأخوذة من البدع وهو الاختراع على غير مثال سابق. ومنه قوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ (البقرة / ١١٧). أي مخترعها على غير مثال سابق. وقوله تعالى: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾ (الأحقاف / ٩) أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد. بل تقدمني كثير من الرسل ـ ويقال: ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبق إليها والابتداع على قسمين: ابتداع في العادات كابتداع المخترعات الحديثة[١] وهذا مباح لأن الأصل في العادات الإباحة ـ وابتداع في الدين وهذا محرم لأن الأصل فيه التوقيف قال صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد)[٢] وفي رواية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[٣].

٢ ـ أنـواع البدع ـ البدعة في الدين نوعان ـ النوع الأول بدعة قولية اعتقادية كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم ـ النوع الثاني بدعة في العبادات كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها وهي أنواع:

النوع الأول: ما يكون في أصل العبادة ـ بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع كأن يحدث صلاة غير مشروعة أو صياماً غير مشروع أو أعياداً غير مشروعة كأعياد الموالد وغيرها.

النوع الثاني: ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة ـ كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

(١) ويدخل في ذلك الاكتشافات العلمية بأنواعها المختلفة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) في صحيح مسلم.

النوع الثالث : ما يكون في صفة أداء العبادة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة - وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة . وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

النوع الرابع : ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام - فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل .

٣ - حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها :

كل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة - لقوله صلى الله عليه وسلم : (وإياكم ومحدثات الأمور. فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[4]، وقوله صلى الله عليه وسلم : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) . وفي رواية : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) فدل الحديث على أن كل محدث في الدين فهو بدعة . وكل بدعة ضلالة مردودة . ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة . ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة - فمنها ما هو كفر صراح - كالطواف بالقبور تقرباً إلى أصحابها وتقديم الذبائح والنذور لها ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم . وكمقالات غلاة الجهمية والمعتزلة . ومنها ما هو من وسائل الشرك - كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها . ومنها ما هو فسق اعتقادي كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية . ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل والصيام قائماً في الشمس . والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع[5].

تنبيــــه :

من قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة فهو غالط ومخطىء ومخالف لقوله صلى الله عليه وسلم : (فإن كل بدعة ضلالة) لأن الرسول صلى الله عليه وسلم حكم على البدع كلها بأنها ضلالة . وهذا يقول ليس كل بدعة ضلالة بل هناك بدعة حسنة -

(٤) رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) انظر الاعتصام للشاطبي (٢/ ٣٧) .

قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين : فقوله صلى الله عليه وسلم : (كل بدعة ضلالة) من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء . وهو أصل عظيم من أصول الدين. وهو شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم : (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد) فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريء منه. وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة(٦) انتهى.

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح : (نعمت البدعة هذه) وقالوا أيضاً : إنها أحدثت أشياء لم يستنكرها السلف مثل جمع القرآن في كتاب واحد. وكتابة الحديث وتدوينه. والجواب عن ذلك أن هذه الأمور لها أصل في الشرع فليست محدثة ـ وقول عمر (نعمت البدعة) يريد البدعة اللغوية لا الشرعية ـ فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه إذا قيل أنه بدعة فهو بدعة لغة لا شرعاً لأن البدعة شرعاً : ما ليس له أصل في الشرع يرجع إليه وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابة القرآن ـ لكن كان مكتوباً متفرقاً فجمعه الصحابة رضي الله عنهم في مصحف واحد حفظاً له. والتراويح قد صلاها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه ليالي وتخلف عنهم في الأخير خشية أن تفرض عليهم واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها أوزاعاً متفرقين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلف إمام واحد كما كانوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم وليس هذا بدعة في الدين ـ وكتابة الحديث أيضاً لها أصل في الشرع فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه لما طلب منه ذلك ـ وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده صلى الله عليه وسلم خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه ـ فلما توفي صلى الله عليه وسلم انتفى هذا المحذور ـ لأن القرآن قد تكامل وضبط قبل وفاته صلى الله عليه وسلم. فدون المسلمون السنة بعد ذلك حفظاً لها من الضياع فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً حيث حفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم من الضياع وعبث العابثين.

(٦) جامع العلوم والحكم ص ٢٣٣ .